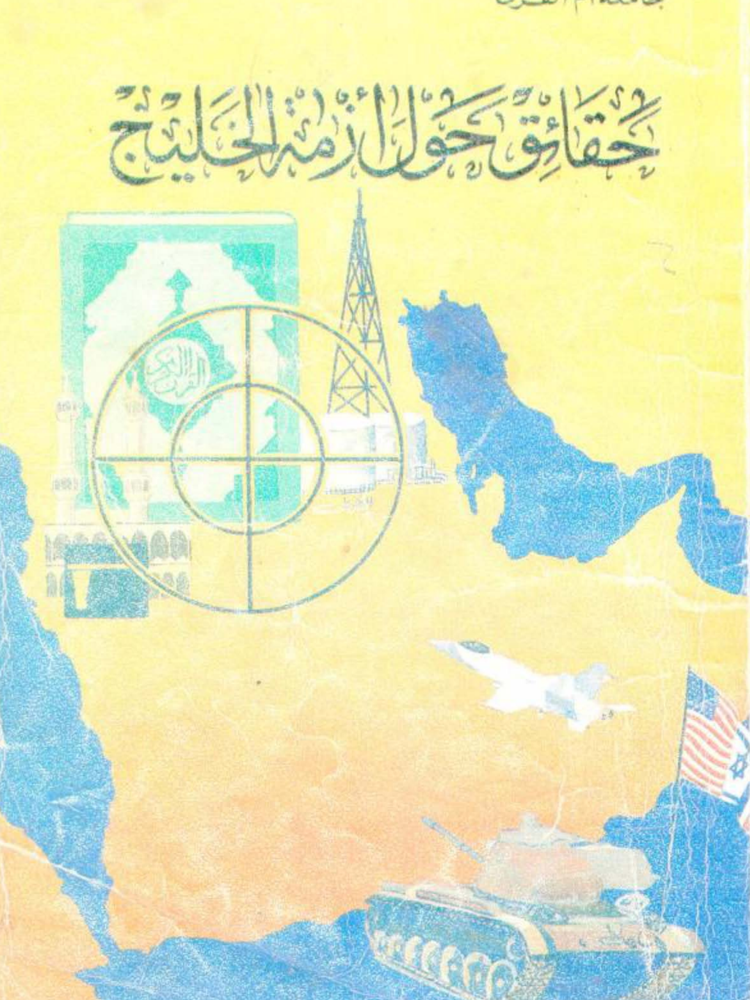
د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي
جامعة أم القرى

حقائق حول أزمة الخليج

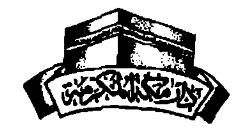




تأليف

د . سفر بن عبد الرحمن الحوالي

رئيس قسم العقيدة بجامعة أم القرى



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى كتب العز والنصر لمن أطاعه واتقاه ، وضرب الذل والخزي على من خالف أمره وعصاه ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله القائل : « بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وكتب الذل والصغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم » وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :—

فهذه رسالة من سفر بن عبد الرحمن الحوالي إلى أصحاب الفضيلة والسماحة هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية وعلى رأسهم سماحة الوالد الجليل الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظهم الله جميعاً آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فغير خافٍ عليكم ما نزل بأمة الإسلام من فاجعة كبرى ، وكارثة عظمى ، لن ينساها التاريخ إلى قيام الساعة ، تلك التي ابتدأت ظاهراً بغزو الجيش العراقي للكويت ، ثم تداعي أمم الغرب النصرانية وتوابعها على المنطقة جميعها ، وإنزال عشرات الألوف من الجيش الأمريكي وغيره في الرياض وجدة والطائف وينبع وعسير ، فضلاً عن المنطقة الشرقية والشمالية ، وتطويق المنافذ البحرية لجزيرة العرب جميعها بذريعة الحصار الاقتصادي للعراق . وقد هالني هذا الأمر كما هال كل مؤمن ، لاسيما والحق أنني كنت أتوقع شيئاً من هذا منذ قيام ما سمي « الوفاق الدولي بين الشرق والغرب » واتحاد أوربا الصليبية تحت راية واحدة ، وحذرت منه في أكثر من محاضرة متمثلاً بحديث زينب بنت جحش رضي الله عنها في الصحيحين : « لا إله

إلا لله ، ويل للعرب من شر قد اقترب » ثم جاءت المصيبة أكبر مما توقعت ، وأعظم مما أنذرت ، وأحسب أن جزيرة العرب منذ أن خلق الله صحراءها وحفها ببحارها لم يدهمها مثل هذا البلاء قط ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

وقد عرضت رأيي في الأحداث وأسبابها وعلاجها على بعض إخواني من طلبة العلم في أكثر من لقاء ، فكان له آثار مختلفة ، وكانت الأحداث تتوالى ، والبيانات تصدر ، وردود الفعل تضطرب ، وقد كانت هذه الأحداث هي الشغل الشاغل ، ومثار الجدل واختلاف الرأي بين الناس عامتهم وخاصتهم ، وخاصة طلبة العلم الذين انقسموا فريقين : لكل منهما رأيه :-

الرأي الأول :

أن الأحداث كلها جرت بصورة عفوية « فالعالم كله فوجيء في يوم الغزو ، وفوجئت المملكة بحشود عراقية ، فطلبت النجدة من الدول الغربية والعربية لحماية أمنها ، فجاءت تلك الدول استجابة لذلك الطلب ، وسيرحلون فور انتهاء الأزمة ، ووجودهم لا يتعدى الضرورة المؤقتة ، وسوف تعود الأمور على ما كانت عليه من قبل ...

وطبيعي أن أصحاب هذا الرأي لم يكن لهم اعتراض أو تحفظ على القرارات والمواقف الرسمية

ولما سمعوا الرأي الآخر بادروا إلى معارضته وتخطئته مستعينين ببعض أقوال الفقهاء والعلماء قديماً وحديثاً في مسألة الاستعانة بالكفار

والرأي الآخر

أن الأحداث في جملتها نتيجة مخططات قديمة « الغرب له مخططاته ، والبعثيون لهم مخططاتهم ، ودول مجلس التعاون لها مواقفها وحساباتها ، وكذلك الأطراف الأخرى » ، وأنه منذ الوفاق الدولي وانهيار المعسكر

الشرقي كان متوقعاً حدوث تطور خطير في الشرق الأوسط ؛ على تفاوت بين المحللين في ماهية هذا التطور وعواقبه ؛ فكانت هذه الأحداث .

والخلاصة أن هذا الرأي في الجملة مناقض للرأي الأول وأن أصحابه يعترضون أو يتحفظون تجاه المواقف والقرارات المتخذة !! ويرون القضية خارجة عن دائرة الخلاف الفقهي في مسألة الاستعانة . وأن الواجب على الأمة أن تعرف الواقع على حقيقته ، وأن تواجه التحدي بالقوة المستطاعة ، وأن تحسب لكل احتمال حسابه ، وتُقدِّر الضرورة بقدرها ، وأن هذا خير من التكتم والتعتيم ، وتخدير المشاعر إلى أن تقع في هاوية لا يعلم قرارها إلا الله

لاسيما وقد جاء على لسان أكثر من مسؤول في هذه البلاد وغيرها أن المنطقة دخلت في نفق مظلم لا يعلم نهايته إلا الله ، وحقاً نطق ، فقد كنا نظن أن الأمة قد استقرت في القاع ، وأنه ليس وراء واقعها من سقوط ، فإذا بهذا القاع السحيق يفتح فاه لتدخل في نفق عميق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ولما كنت من أصحاب الرأى الأخير وأعلنته أمام عدد من الدعاة والمشايخ ، وحدث له ما حدث من اعتراضات وردود فعل وتفسيرات خطأ (مع ما ناله من تأييد واسع النطاق لدى الخاصة والعامة) ، وبناء على ما تم بيني وبين نائب وزير الداخلية من جهة ، وبين سماحتكم والوزير من جهة أخرى ، من اتفاق على المباحثة مع سماحتكم وأعضاء الهيئة في هذا الأمر ، والخروج بالنتيجة المناسبة التي تبرىء الذمة ويكون فيها النصح للأمة ، وأن في إمكاني تقديم أى نصح مباشرة أو بواسطة سماحتكم ، كتبت لكم وجهة نظرى هذه راجياً أن تنال اهتمام الجميع وما كان فيها من صواب ؛ أن يؤيد ويبلغ منكم وباسمكم للحكومة ، وما كان من خطأ

فأنتم خير من يردني عنه ، وأكرر رجائي بالاهتمام بالأمر فهي قضية لها ما بعدها ، وسوف يسألنا الله تعالى عنها ؛ وتحاسبنا الأجيال من بعدنا عليها !!. مع رجاء إبقاء هذه الرسالة سراً لا يطلع عليه غيركم .

وهي عبارة عن عرض موجز لجذور الأزمة ؛ ثم عرض مسهب للمخططات الدولية التي أخرجتها ؛ وبعض الاقتراحات .

* * *

- ١ -

١ - أ - لا ريب أن أساس هيمنة الغرب على العالم المعاصر هو تفوقه الصناعي واحتكاره للقوى ، وتطفيفه في التعامل ، ولا ريب أن النفط هو السلعة الضرورية الحيوية للصناعة والحياة الغربيتين ، ليس لأنه مصدر الطاقة الرئيسي في العالم - بعد انتهاء عصر الفحم الحجري - فحسب بل لأن استخدام النفط في الطاقة - على أهميته - أصبح هدفاً من جملة أهداف أخرى مهمة كثيرة ، فلا يكاد يخلو مجال من مجالات الصناعة الحديثة من استخدام النفط حتى الأدوية والعطور والملابس والأواني والصناعات الحربية .. إلخ .

ومع هذه الأهمية العظمى فإن العالم الغربي (وأمريكا خاصة) الذي يخطط إلى ما بعد ٥٠٠ سنة من الآن بالنسبة لبدائل الطاقة واحتياطي المعادن ؛ وجد نفسه أمام تراجع كبير في احتياطه من النفط ، كما أن توابعه (اليابان مثلاً) لا تنتج النفط أصلاً

وتشير آخر الإحصائيات إلى أن احتياطي الولايات المتحدة الأمريكية سينفد سنة ٢٠٠٠ ، وسينفد احتياطي الاتحاد السوفيتي سنة ٢٠٠٣

أما أكبر مخزون للنفط في العالم فهو منطقة الخليج عامةً ، والمملكة العربية السعودية خاصةً ، حيث لا يقل هذا الاحتياطي عن ٦٠ ٪ من الاحتياطي العالمي كله . وإذا استمر الإنتاج في معدله الحالي فإن المخزون السعودي سوف يستمر ١٢٥ سنة ، والكويتي ١٤٤ سنة ، والعراقي ٩٨ سنة ، والإمارات ١٢٠ سنة ، انظر مجلة الأسبوع العربي عدد ٢٢ / ١٠ / ١٩٩٠

يضاف إلى ذلك الفرق الهائل جداً في تكاليف الإنتاج وكميته ، فالبئر الأمريكية تنتج ١٨ برميلاً في اليوم في حين أن البئر السعودية قد تنتج ١٨٠٠٠ برميل لمدة تزيد على ٤٠ سنة !!

ومن هنا برز الخليج العربي باعتباره أهم منطقة في العالم على الإطلاق ،

وأصبح محط شراهة القوى الطامعة ، وبذلك تكون القوة المسيطرة على الخليج هي القوة المتحكمة في شرايين الحياة في العالم الغربي ، ويمكن لها ، أن تخنق الغرب إلى أن يموت .

يقول الرئيس نيكسون : « أصبحت الآن مسألة من يسيطر على ما في الخليج العربي والشرق الأوسط ، تشكل مفتاحاً بيد من يسيطر على ما في العالم » (المذكرات ص ١٠٥) .

وقال : « إن منطقةً كانت ذات يوم تنعم إلى حد كبير بخيال رومانتيكي ، أصبحت الآن تمسك مصير العالم بذراعيها ، أو برمالها بتعبير أدق » ص ١٠٠

أما الرئيس كارتر فقد عبر أحد مستشاريه عن مشاعره قائلاً

« لو أن الله أبعد النفط العربي قليلاً نحو الغرب لكانت مشكلتنا أسهل » (التدخل العسكري في منابع النفط ص ١٢) .

فهو يتمنى لو أن الله جعل النفط في محيط سيطرة الدولة اليهودية التي هي جزء من الغرب دينياً وعرقياً ، وهذه العبارة الصليبية ليس أسوأ منها إلا ما قاله أكثر من مسؤول أمريكي ، ومنهم السفير السابق في السعودية : « إننا ذهبنا لتصحيح خطأ الرب حيث جعل الثروة هنا بينما العالم المتحضر في مكان آخر » (قاتله الله وأخزاه)

ومع هذه الأهمية الحيوية البالغة ، فإن لهذه المنطقة أهمية من جوانب أخرى ، فهي مهد الحضارات وملتقى الطرق العالمية (كما أن لها حساسيتها الدينية والتاريخية التي لا يتجاهلها أحد) ومن هنا كانت محط التنافس الضاري طوال القرون (البيزنطيون ، التتار ، الصفويون ، العثمانيون ، البرتغاليون ، الإنجليز) كما أن تركيبتها العرقية والطائفية تجعلها منطقة قابلة للالتهاب بسرعة (عرب ، فرس ، أكراد ، ترك ، بلوش ، سنة ، شيعة ، خوارج ، يهود في إيران ، نصارى في العراق إلخ)

ولهذا ظلت هذه المنطقة بؤرة للتناقضات والحروب والصراع الفكري ، وبعبارة أصح للفتن التي أخبر النبي ﷺ أنها تأتي من قِبَل تلك الجهة . وأصبح لزاماً على كل من يتعامل معها ، أن يراعي هذه الحساسيات البالغة والأوضاع المعقدة .

* * *

١ - ب - والغرب الصليبي حاول منذ أربعة قرون تقريباً السيطرة على المنطقة (كمحاولات البرتغاليين) وفي القرن الماضي اشتد التنافس بين فرنسا وبريطانيا عليها ، ثم تفرد الإنجليز بالهيمنة المطلقة ، وسلم لها سائر الغرب بذلك حتى بعد اكتشاف النفط وقدوم الشركات الأمريكية إلى المنطقة[١]

وابتدأ أفول شمس الإمبراطورية البريطانية بعد الحرب العالمية الثانية واستقلال أكثر مستعمراتها ، ومع ذلك ظلت متشبثة بمنطقة الخليج وجنوب الجزيرة . إلا أن هذا لم يمنع حليفتها الأقوى ، ومنافستها الكبرى (الولايات المتحدة) من الاضطلاع بدورٍ ما في المنطقة ، وبداية السعي لاحتوائها فكان ما سمي : « مبدأ ترومان » الذي أمر في منتصف عام ١٩٤٨ بتشكيل القوة الخاصة السادسة التي كانت سابقاً تدير الأسطول السادس الأمريكي .. وبدأت الطائرات الأمريكية على الفور باستخدام قواعد في ليبيا وتركيا والعربية السعودية (ضمن قانون الإعارة والتأجير الذى سعى الرئيس روزفلت إلى إدخال المملكة فيه تدليلاً على حسن النية تجاهها) وهكذا تشكل وجود عسكري أمريكي في الشرق الأوسط لأول مرة . (مذكرات نيكسون ص ١٠٤) .

وبعد سنوات حدثت في المنطقة أحداث كبرى ، منها : النزاع العربي الإسرائيلي ، واشتداد المنافسة السوفيتية ؛ وهو ما استعدى وجوداً أمريكياً أقوى وأكثر تمركزاً إلا أن الأوضاع السائدة في المنطقة كانت لا تسمح بوجود عسكري أمريكي مباشر فكان التركيز الأمريكي على أن تتم السيطرة على البحر الأبيض من جهة ، والمحيط الهندي من جهة أخرى ، ومن هنا كانت القواعد الأمريكية تحيط بالمنطقة من بعيد ، ولكن باهتمام شديد (في

---

(١) انظر مثلاً : « السلام البريطاني في الخليج العربي » ، وكتاب « تاريخ الخليج العربي » ، وكلا المؤلفين إنجليزي !!.

أسبانيا ، تركيا ، اليونان ، كينيا ، الصومال ، تايلند ، فيتنام) على أن أهمها اتخذ مقراً له الجزيرتين الاستراتيجيتين ، وهما « ديغو غارسيا » في المحيط الهندي ، وهي من أرخبيل موريشس وتبعد ٣٧٠٠ كم عن منطقة الخليج ، ومع ذلك يعلق الأمريكيون عليها أهمية كبرى ، ويعدونها أهم قاعدة لهم لحماية الخليج (فكيف نتصور ابتهاجهم إذا أصبح لهم وجود فعلي في الخليج نفسه) .

والأخرى : جزيرة « كريت »[1] في البحر الأبيض ، وكلاهما – رغم البعد النسبي – تجعلان منطقة الخليج ضمن دائرة هيمنة الطائرات الأمريكية الحديثة (مثل بي ٥٢ ، اف ١٤ ، ١٥ ، ١٦) التي تنطلق من حاملات طائرات متطورة .

وفي سنة ١٣٨٧هـ ١٩٦٧ م كانت الحرب المعروفة بين العرب واليهود ، وصحبها إغلاق قناة السويس ، وما هو أعظم منه ، وهو الاستياء الشديد الذي عم العالم الإسلامي كله والعرب خاصة ؛ من الموقف الأمريكي المنحاز جداً إلى اليهود ، مما أفسح المجال للمنافسة السوفيتية ، وأعطى الأنظمة والأحزاب الثورية الاشتراكية الموالية للسوفيت الوقود لإشعال العداوة ضد الأمريكان ليل نهار ، حتى شهدت المنطقة ثورات ومظاهرات تتغذى بشعار : « بترول العرب للعرب » (وقد شملت هذه المظاهرات عمال أرامكو العرب) وأعقب هذا إعلان بريطانيا عام ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م تخليها عن منطقة الخليج بعد عامين ، أي سنة ١٩٧١ م مما أحدث قضية كبرى بالنسبة للغرب أسموها : « الفراغ الأمني في الخليج » وكان طبيعياً أن تكون الولايات المتحدة هي المهتم الأول بالأمر . وكان المفترض أن يكون لها وجود مباشر في الخليج ، وخاصة في مضيق هرمز ولكن « لسوء الطالع » – كما عبر

(١) انظر ص ٦٣ الآتية .

نيكسون – حدث ذلك عندما كانت صرخات الشعب الأمريكي تتعالى ضد الحرب في فيتنام وهنا برزت أعقد مشكلة داخلية حيال الوجود الأمريكي المباشر في الخليج ، وهي عقدة فيتنام التي ظلت أمريكا تحسب كل حساب لتلافيها (وهذا ما هيأ له ريجان ونجح فيه بوش إلى حد كبير) وأسهمت فى تأخير ذلك الوجود وتهيئة أفضل فرصة ممكنة له .

* * *

١ – ج – هذا وفي أثناء ذلك كانت المملكة السعودية بيد الملك فيصل الذي أجمع ساسة العالم على حنكته ودهائه ، والذي كان يدرك مخاطر المنطقة كلها ، فكانت سياسته تسعى إلى إبعاد الوجود الأجنبي كله سوفيتياً أو أمريكياً عن المنطقة . ومن أعماله في ذلك :-

١- نزع الفتيل الذي أراد الغرب تفجير المنطقة به وهو النزاع على واحة البريمي ، وذلك بالصلح مع الإمارات ، بل السعي إلى قيام الاتحاد بينها ، وحث قطر والبحرين على الدخول في الاتحاد ، ولما لم تدخلا سعى إلى ربطهما بالمملكة بأقوى الروابط الممكنة .

٢- إقامة علاقة متينة مع شاه إيران – الذي سيأتي الحديث عنه – وقد أعلنا ومعهما الرئيس الصومالي ثم أبو رقيبة « فكرة « التضامن الإسلامي » لتجابه الفكر الثوري « الناصري والبعثي » .

وما أن هلك عبد الناصر سنة ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م وجاء السادات حتى انضمت مصر إلى الفكرة ، وقام ما يشبه التحالف القوي في المنطقة بين « إيران – السعودية – مصر » وكان الكل يعلن رفض الوجود العسكري الأجنبي ، وإن كانت هناك بعض التسهيلات للقوات الأمريكية ، وخاصة في مصر وعمان وإيران

وفي سنة ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م وقعت حرب رمضان ، واستطاع الملك فيصل فيها تحقيق هدفين كبيرين :

الأول : سلب القوى الثورية شعارها القديم حيث أعلن هو حظر النفط عن الغرب الذي وقف مع الدولة اليهودية في حرب صليبية سافرة .

الثاني : إثبات أن أمر المنطقة بيد أهلها وأن التحدي للغرب ممكن ولو جزئياً ومع أن الحرب نفسها كانت حرب تحريك للقضية ، لا تحرير لفلسطين (كما اعترف السادات) فإن الغرب استجاب للتحدي بأقوى ما

يمكن ، ولم ينس وزير الخارجية الأمريكي اليهودي (هنري كيسنجر) إهانة الملك فيصل له وتحديه لأمته حين قال : « نحن نستطيع أن نعيش على اللبن والتمر كما كان أجدادنا من قرون »

وأعقب تلك الحرب بروز منظمة الأوبك كقوة عالمية ، وارتفاع أسعار النفط بشكل لم يسبق له نظير (مع أنه سعر عادي للغاية) وهو ما كانت له آثاره الواضحة في الاستراتيجية الغربية - كما سنرى - كما أعقبها اغتيال الملك فيصل ، واختفت تماماً فكرة حظر النفط ، ودخلت المنطقة في دوامة فك الاشتباك ، ثم الحلول والمبادرات السلمية (التي منها معاهدة معسكر داود) وبرز شرطي الخليج « الشاه » ليكون أقوى قوة في المنطقة ، وقام بإذلال العراق (اتفاقية شط العرب التي وقعها صدام) وتهديد دول الخليج الأخرى !! وحاول إحكام قبضته على الخليج ، بل سعى إلى تزعم المنطقة بكاملها ، إلا أن الغرب أدرك في النهاية أنه وضع ثقته في غير موضعها وأخذ يعيد النظر في تقديراته بشأنه .

وهنا نعود قليلاً إلى الوراء ثم نتابع سقوط الشاه ونتائجه .

* * *

١ - د - أثناء ذلك أيضاً كان المعسكر الشرقي يعيش أقوى مرحلة في تاريخه ، فقد سيطر على دول ومناطق وممرات استراتيجية (القرن الإفريقي ، عدن ، أثيوبيا ، أنغولا ، ليبيا ، باكستان « أيام بوتو ») .

وكادت منظماته الثورية تسيطر على أندونسيا ، ثم السودان وعُمان ، وأخيراً اليمن الشمالي ، وحاوَلت أكثر من مرة الانقلاب على حكومة العراق ، وقل مثل ذلك عن تركيا وإيران وغيرها ، هذا فضلاً عن التنّين الشيوعي الآخر الصين !!.

لقد كان زحفاً شيوعياً هائلاً اجتاح العالم ابتداءً من أوربا الشرقية وانتهاءً بأفغانستان المسلمة التي أراد الله أن تكون بداية النهاية وله الحمد والمنّة

وكان هذا من أعظم الأسباب لزيادة المخاوف الأمريكية ، إلا أن عقدة فيتنام الكبرى لم تنحل بعد ، وفي هذه الحقبة اتسمت السياسة الأمريكية ، بشيء من التخبط والتناقض ؛ واختلاف الرأي بشدة بين الإدارة والكونجرس والمجالس المتخصصة واللجان الاستشارية ... إلخ ، رغم ثبات الأهداف الاستراتيجية التي من أهمها : تحجيم الوجود السوفيتي ، وضمان تدفق النفط . ووجدت أمريكا نفسها مرغمة أكثر من ذي قبل على انتهاج سياسة الحوار مع الاتحاد السوفيتي ؛ والاعتراف له بكثير من المطالب ، إلى درجة أقلقت الشعب الأمريكي ، وكادت تفقده الثقة في تفوق أمريكا وسيادتها . والواقع أنه مع الضعف الأمريكي الواضح أيام فورد وكارتر ، فإن أمريكا ومعها حلفاؤها الغربيون يخططون في الخفاء لإقحام المعسكر الشرقي في مآزق كثيرة تجعله ينساق لهم في النهاية ، مستغلين في ذلك الاستبداد والظلم ، ومجافاة الفكر الماركسي للفطرة الإنسانية أصلاً

ويهمنا هنا المنطقة الإسلامية حيث عمد الأمريكان إلى سياسة « اللقاح

والشراء » ، إذ تركوا كثيراً من الشعوب تقع في شباك الشيوعية ، وسرعان ما وجدت هذه الدول نفسها في ضوائق اقتصادية كبيرة ، ولم يكن في إمكان موسكو نجدتها إذ كانت تعاني هي الأخرى مثل ذلك ، وخاصة مع القيود الاقتصادية الأمريكية عليها . وهنا جاء دور الدول الموالية لأمريكا ؛ التي اشترت ولاء أكثر تلك الدول وحولتها تلقائياً إلى المعسكر الغربي بعد أن نالت لقاحاً يعطي حصانة أبدية من الشيوعية ولم تخسر أمريكا شيئاً ولم يقتصر ذلك على الدول ، بل تعداه إلى الحركات التحررية أيضاً

وفي ظل تلك الأوضاع المتقلبة والإدارة الأمريكية الضعيفة ، ظهرت دعوات قوية في أمريكا تنقد ضعف بلادها ، وتنذر أمتها بالخطر المحدق إن لم تعد العدة كاملة لاحتلال الخليج – كما صرح بعضهم – أو لحماية أمن الخليج كما يُغلّفها الأكثرون .

ونشير هنا إلى بعض المترجَم المتداوَل في الأوساط العربية منها ، ونوجز ما احتوت عليه مما لا تخفى دلالته على مثلكم :-

١ – دراسة عسكرية استراتيجية نشرتها مجلة فورتشون الأمريكية في مايو ١٩٧٩ بعنوان : « التدخل العسكري في منابع النفط – الاحتمالات والخطط » . ومما ورد فيها ص ٤ : « إن نزاعاً بين العراق والكويت أو السعودية نابعاً من الخلافات القائمة منذ زمن حول الأراضي هو خطر حقيقي » .

ثم تقول الدراسة :-

« لقد أوضح كل من براون وبريجينسكي – مساعد الرئيس كارتر لشؤون الأمن القومي – مؤخراً أن الولايات المتحدة ستتخذ خطوات بينها استخدام القوات العسكرية لحماية مصالحنا في العربية السعودية » .

وتُجمل الدراسة الاستراتيجية الأمريكية العسكرية في شقين قائلة :

الشق الأول :

« تعزيز الأمن الداخلي في دول الخليج ضد ما تشعر إدارة كارتر أنه مدٌّ

مُتنامٍ من عدم الاستقرار السياسي ، ويرى المسئولون في واشنطن أن عدم الاستقرار هذا يتفاقم من خلال الفساد المنتشر والتفاوت الكبير في الثروات ، ووجود أعدادٍ هائلة من العمال الفلسطينين واليمنيين والأجانب الآخرين .. ويتمتع العمال المهاجرون بقليل فقط من الامتيازات التي يتمتع بها المواطنون !!

أما الشق الثاني :

من تلك الاستراتيجية .. فيقضي بإيجاد طرق من أجل زيادة حجم الوجود الأمريكي في الخليج ، أو على الأقل التحرك بسرعة أكبر في أوقات الأزمات ص ٦

وبعد أن تشير الدراسة إلى الصعوبات الإمدادية وعدم تملك أمريكا لقواعدٍ في أراضي الخليج تقول :-

« أحد الاحتمالات هو محاولة التوصل إلى اتفاق مع السعودية من أجل توسيع القواعد العسكرية القائمة حالياً في تلك البلاد ، حتى تستطيع استيعاب قوات أمريكية ، وهناك خيار آخر هو الحصول على إذن للسماح بإيداع مسبق للمعدات والإمدادات في السعودية للاستخدامات الطارئة»[1] ص ٧.

وتقول الدراسة :

« أظهر استفتاء للرأي ، أجري مؤخراً بين سفراء الولايات المتحدة في المنطقة ، أن هناك إجماعاً على القول بإن تمركز قوات برية ، أو زيادة القوات البحرية (الأمريكية) في المنطقة قد يؤدي إلى إضعاف الدول التي

---

(١) وبالفعل أنشئت قواعد عسكرية لا نظير لها في أكثر دول العالم ، وفوجيء الأمريكيون عند نزولهم فيها بتطورها واستيعابها ومضاهاتها لأكبر القواعد في بلادهم ، والمؤلم أن أحد خبراء البنتاجون قال : « يجب أن تكون هذه القواعد مناسبة لنزول قواتنا ، وأنه ينظر إليها كقواعد أمريكية لأننا سننزل فيها إن بطلبٍ من السعودية وإن بغير طلب » ! وانظر ص ٢٢ ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

ستتمركز فيها هذه القوات ، بدلاً من أن تقويها . فمن شأن المجموعات المتطرفة أن تستغل العواطف « المعادية للاستعمار » المتبقية منذ الأيام التي كانت فيها الأراضي العربية مستعمرات أو محميات لبريطانيا وللدول الأوربية » . (التدخل العسكرى في منابع النفط ص ٧) .

وأذكّر سماحتكم وأصحاب الفضيلة أن هذا الكلام نشر قبل ١١ سنة ، وأحيلكم إلى الخرائط العسكرية التي اشتملت عليها الدراسة عن الاحتمالات والخطط ، وهي مرفقة هنا .

٢ — دراسة استراتيجية بعنوان : « تحديات الأمن القومي في العربية السعودية في العقد المقبل » (أى الثمانينيات الميلادية) كُتِبت سنة ١٩٧٨ قبل نجاح الثورة الإيرانية :

وحين تحدثت الدراسة عن النزاعات المحتملة قالت :—

« من المحتمل أن تصبح العراق وإيران أعداء للسعودية في منطقة الخليج ، فالرياض قلقة بشأن المطالبة القديمة بالكويت ، وبشأن حوادث إطلاق النار المتفرقة على طول الحدود المبهمة بين هاتين الدولتين .

ويعود الصراع بين العراق والكويت إلى ما قبل حصول الكويت على استقلالها التام في العام ١٩٦١ . وتدعي العراق أن لها الحق في المناطق التي كانت جزءاً من الامبراطورية العثمانية التي تدعي أنها وريثتها القانونية ، ولو قبلنا هذا المنطق لأصبحت الكويت جزءاً لا يتجزأ من العراق .

أما الكويتيون فيقولون إنهم كانوا دوماً محافظين على وضعهم ككيان مستقل

وقد تُقرر العراق أن تحل مشاكل الحدود عسكرياً فتلجأ إلى الاستيلاء على البلاد بأسرها ، وهو أمر يمكن إنجازه بسرعة إلا إذا تدخلت دول أخرى لتساند الكويت .

والسعودية لا تستطيع أن تفعل الكثير من وجهة النظر العسكرية

لإيقاف أيّ غزو عراقي للكويت ، ويتم الآن إنشاء مركز عسكري سعودي قرب الحدود العراقية العسكرية (يقصد مدينة حفر الباطن العسكرية) لكن السعوديين قد لا يستطيعون أن يتحدَّوا قوة بغداد العسكرية) ص ٦ ، ٧

وفي موضع آخر تتحدث عن الخطر العراقي أيضاً ، واحتمال إقدام العراق على اتخاذ بعض الإجراءات الجوية لمعاقبة المملكة لأسباب ذكرت منها « دعمها للأنظمة التقليدية ، أو لأنها تُنتج النفط أكثر مما ينبغي ، أو لأنها تعرقل الحصول على أسعار أعلى للنفط ، أو من جرّاء دعم السعودية المحدود للكويتيين في نزاعهم الإقليمي مع العراق .. » (يلاحظ أيضاً أن هذا الكلام كتب قبل ١٢ سنة ومع ذلك فإن الأسباب الأولى الواردة هنا هي ما تضمنته مذكرة الاحتجاج العراقية ضد الكويت والإمارات المقدمة لجامعة الدول العربية والتي أعقبها الغزو العراقي) .

ثم تقول : « أما احتياط النفط السعودي فمن المحتمل أن لا يلعب دوراً في أي هجوم تشنه العراق ، إذ إنَّ احتياط النفط العراقي قد لا يفوقه سوى احتياط النفط السعودي ، والصراع العراقي الكويتي يرجع على الأرجح إلى رغبة العراق في تسهيل الوصول إلى البصرة ، وهي مرفأ العراق الرئيسي على الخليج لا إلى الحصول على موارد الكويت النفطية الكبيرة » ص ٢٢ ، ٢٣

(أقول يعطي هذا التفسيرَ لسرعة الصلح مع إيران ، وقد تؤكده مبادرات السلام بين العراق والكويت إن قدر لها النجاح والله أعلم) .

٣ - دراسة استراتيجية بعنوان : « خيارات السياسة الأمريكية في إيران والخليج » نشرت أيضاً في أوائل عام ١٩٧٩ وهي تشمل المساحة الزمنية التي أشرنا إليها ، أي فترة إدارة كارتر الضعيفة ، وتخبط الآراء الأمريكية حينئذ قبيل سقوط الشاه - وقد وضعت ثماني خيارات للسياسة الأمريكية - واهتمت جداً بموضوع الخليج كالعادة ومما أوردته بشأنه (عقب الحديث عن مشكلة شط العرب) :

« يمكن لإيران أن تتورط في عداوة ضد الكويت ، وقد وقعت حوادث على الحدود العراقية الكويتية ، وإذا ألحت العراق في مطالبتها بتلك الدولة الغنية بالنفط بأساليب عسكرية سيكون من المدهش بعض الشيء أن تتخذ إيران موقف المتفرج ، وحتى مع خروج الشاه عن السلطة قد لا يتغير تصور إيران لأمنها القومي بشكل ملحوظ على الأقل في الخليج الفارسي إلا إذا تغيرت الحكومة الإيرانية بدرجة متطرفة إما إلى اليمين أو إلى اليسار

وعلى افتراض أن توجهات إيران العسكرية الحالية ستظل ثابتة في الخليج حتى مع رحيل الشاه ، فقد تتحرك إيران عسكرياً إذا هدَّدَ الاضطراب المحلي في الكويت بتولي السلطة نظام متطرف ، ومن الصعب التكهن بما يمكن أن تفعل بغداد أو موسكو ولكن يجب عدم استبعاد احتمال القيام برد عسكري ، وربما تم تدخل أمريكي لدعم إيران بشكل مباشر سواء رداً على تدخل خارجي أو بدونه » ص ١٨ ، ١٩

(من الدلالات المهمة لهذا الكلام استعداد أمريكا للتنزول في إيران أيضاً لو حكم الكويت نظام متطرف وعجزت إيران عن القضاء عليه بسبب تدخل العراق أو غيرها لدعمه – وذلك لأن إيران هي شرطي الخليج آنذاك – والمهم أن التدخل العسكري المباشر وارد ، وأن الكويت هي الطُّعْم في أي سيناريو قد يتم تنفيذه) .

وتقول الدارسة :

« إن بعض الأدلة على أن السياسة الأمريكية كانت تتحرك بدقة نحو وقف تدخل عسكري مباشر في الخليج الفارسي ظهرت في التقرير السنوى المقدم إلى الكونجرس من وزير الدفاع (هارولد براون) يوم ١٩٧٨/٢/٢ ، وهو يعتبر « حالة طوارىء » ترتبط بالعمل العسكري الأمريكي في الخليج الفارسي حالة ملائمة للتخطيط الأمريكي لاستخدام القوة ». ويستمر قائلاً:

« إن هذه الطوارىء ليست مجرد أوضاع ملائمة منهجية نستخدمها

قاعدة لتطوير موقف دفاعي غير نووي ، إنها حالات طوارىء جدّية حقيقية يجب أن نستعد لها بشكل محدد » .

وأهم ما في الدراسة هو الخيارات المشار إليها . وقبل عرض ما يهمنا منها نذكر ما جاء في ديباجتها بشأن المملكة :

« مالت الولايات المتحدة إلى الربط بين مصالحها في إيران وعلاقاتها مع السعودية ، وهو ما وُصِف أحياناً بسياسة « العمودين » رغم أنه اسم لا ينطبق على الحقيقة ، إن أقدم حليف لأمريكا في الخليج الفارسي هو السعودية ، ففي السعودية وليس في إيران قامت شركات النفط الأمريكية بزعامة (أرامكو) بعمل رائد في إرساء القوة الاقتصادية الأمريكية في الشرق الأوسط .. ومن الواضح أنه مع اعتماد الولايات المتحدة والغرب عموماً بهذا القدر على النفط السعودي يصبح من الضروري بحث الدور المحتمل للمملكة السعودية فيما يتعلق بأمن أمريكا القومي في الخليج الفارسي ، خاصة في إطار المصاعب الإيرانية (يعني قلاقل الثورة الإيرانية حينئذ) . إن جميع الخيارات الثمانية المقدمة هنا للسياسة الأمريكية في إيران لها علاقة بالسعودية أيضاً ، وهي تتراوح من علاقات عسكرية وثيقة بين واشنطن والرياض ، إلى انسحاب عسكري كامل من الخليج ، واستخدام إسرائيل كقوتنا الوكيلة في هذه المنطقة » ص ٥٢ .

وهذا موجز للخيارات - مع الاقتضاب فيما أسقطه الواقعُ منها :-

الخيار الأول :

موجزُه استمرار السياسة الأمريكية في الخليج كما هي - أى الاعتماد على إيران - حتى بدون نظام الشاه ، واستمرار العلاقة مع النظام البديل أيًّا كان نوعه « ويعني هذا الخيار أيضاً عدم تغير العلاقة الأمريكية السعودية القائمة ، وسيستمر برنامج التحديث العسكري في المملكة بنفس السرعة المعتمدة الحالية ، ولن تكون ثمة خطة لاستخدام التسهيلات العسكرية السعودية من جانب أمريكا » ص ٥٢ ، ٥٣

الخيار الثاني :

موجزه التحول من الاعتماد على إيران إلى الاعتماد على السعودية ، وتقول الدراسة : « وتحت هذا الخيار ستغيّر الولايات المتحدة علاقتها العسكرية بالسعودية من المساعدة غير المباشرة إلى نوعٍ من الوجود المباشر ، وبكلمة أخرى ستقوم واشنطن بأكثر من التركيز على الدفاع عن المنطقة الأساسية المنتجة للنفط (الشرقية) ، وعن العاصمة ، ومجمع جدة – مكة – المدينة ، كما تفعل سياستنا الحالية ...

وقد تقوم الولايات المتحدة ببناء تسهيلات للسعودية بدعم مالي من الأخيرة ، ويمكن للولايات المتحدة أيضاً أن تستخدم هذه التسهيلات للحفاظ على إمكانات عسكرية غير متوفرة الآن في المنطقة بقصد استعمالها في وقت الأزمات ، وسيتطلب هذا مطارات متسعة كثيراً ، وتسهيلات أكثر في الموانىء ، ومناطق تخزين عسكرية أكثر اتساعاً ، كما سيؤدي إلى وجود المزيد من المستخدمين العسكريين الأمريكيين » ..

الخيار الثالث :

« بإمكان الولايات المتحدة مضاعفة وجودها العسكري المباشر في السعودية بدون إقامة علاقات أوثق بالضرورة ، وقد يكون هناك المزيد من الزيارات من قِبَل القوات البحرية الأمريكية والقوات الأخرى » .

وضمنه : « ويمكن أيضاً بذل جهود لزيارة دول أخرى في الخليج كالعراق ، وستظل الفكرة الأساسية هي وجود عسكري أمريكي ثابت ، ولكن غير مخيف ؛ ويَجْري بصورةٍ أساسية ، وهذا الاستعراض المتزايد للعَلَم الأمريكي في الخليج الفارسي يمكن توسيعه ليشمل الشواطىء الجنوبية لشبه الجزيرة العربية حتى البحر الأحمر ثم حتى قناة السويس شمالاً

ويتطلب هذا الخيار تسهيلات في الموانىء خارج تلك التي نستخدمها

في إيران والبحرين . ومرة أخرى تظهر أهمية السعودية بوضوح من حيث الفوائد والتكاليف ، فالتسهيلات الجديدة في جدة على البحر الأحمر كذلك التي في جبيل على الخليج الفارسي سيكون بمقدورها في النهاية استقبال السفن البحرية حتى حجم الفرقاطة » ص ٥٥ .

وهنا تلتفت الدراسة إلى موضوع في غاية الأهمية فتقول :

« وسيؤدى الوجود المتزايد تحت هذا الخيار إلى جمع معلومات استخبارية أفضل نتيجة لتحسن نشاطات جمع المعلومات من قِبَل الولايات المتحدة ، ونتيجة للاتصالات المكثّفة مع القوى المحلية بشأن التهديدات الخارجية. بل إن الولايات المتحدة قد تقرر أن التسهيلات المشتركة في جمع المعلومات الاستخبارية ستكون مفيدة . وفي الحقيقة أن العمليات الحالية لجمع المعلومات الاستخبارية في إيران قد يصبح من الضروري إيجاد مكان جديد لها ، وإعادة النظر فيها ، وإذا حدث ذلك فسيكون للسعودية أهمية كبرى من جديد . أو من المحتمل أن يكون نظامها أكثر استقراراً في المستقبل من الأنظمة الأخرى في منطقة الخليج» ص ٥٥، ٥٦.

ثم ترجع الدراسة لتواصل الحديث : « ويمكن دمج الخيار الثالث مع الثاني طالما أن أية زيادة للوجود العسكري الأمريكي في المنطقة قد تعتمد على التعاون السعودي » .

الخيار الرابع :

موجزُه العمل من أجل إرجاع الشاه ، ولكن مع سلطة أقل . ومن الواضح استبعاد هذا الخيار لأن الشاه كان قد رحل . ص ٥٦

الخيار الخامس :

موجزُه الجمع بين قوة مقلصة للشاه العائد إلى إيران ، وبين تعويضات متزايدة في السعودية . وقد سقط هذا الخيار كسابقه ص ٥٦

الخيار السادس :

موجزُه إعادة الشاه قوياً بواسطة قوات عسكرية أمريكية بالتعاون مع

الجيش الإيراني أو غيره من الجهات ، وفائدة هذا الخيار إظهار أمريكا بموقف الملتزم الوفي لحلفائها ، لكن سلبياته كثيرة . ص ٥٦ ، ٥٧

الخيار السابع :

موجزُه التخلي عن المنطقة بسحب الوجود العسكري ووقف مبيعات الأسلحة وعدم التدخل بشئونها الداخلية .. إلا أن الدراسة تستبعد هذا الخيار وإيراده هو من باب الاحتمال العقلي المجرد . ص ٥٧

الخيار الثامن :

موجزُه الاحتلال المباشر الصريح لحقول النفط والإطاحة بأنظمة الخليج الفارسي بمساعدة الحليفة إسرائيل !.

وفي النهاية توصي الدراسة بأن مزيجاً من الخيارين الثاني والثالث هو أحكم سياسة تتبعها الولايات المتحدة مع إعادة التأكيد على أهمية الدور السعودي » ص ٥٨

٤ – دراسة للدكتور بيتر تيزجر حول خطط التدخل العسكري الأمريكي في منابع النفط ، نشرها الأستاذ أحمد المصري في شؤون فلسطينية . العدد ١١٢ آذار مارس ١٩٨١ ، ذكر فيها أنه في بداية السبعينيات وخاصة بعد حرب رمضان (بدأت المصادر العسكرية الأمريكية تتحدث بوضوح عن أنه إذا تعاظم اعتمادنا على النفط الخارجي أو تدهورت سيطرتنا في السياسة الخارجية والنفوذ الدولي فإن البديل قد يكون إرسال حملة عسكرية إلى الشرق الأوسط تجعل فيتنام تبدو بالمقارنة كنزهة) الفكر الاستراتيجي ٣ / ٧٦ يناير ١٩٨٢م .

٥ – مذكرات الرئيس نيكسون أو « الحرب الحقيقية » وهو كتاب ألفه الرئيس نيكسون الذي يتميز بمقدرته التنظيرية وتُرجم للعربية سنة ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م .

تحدث نيكسون عن أهمية النفط والخليج ، وعن قضية الفراغ الأمني وحظر النفط العربي عام ١٩٧٣ م ، وخطر الزحف اليساري الموالي للسوفيت ومما قال :

« وبدلاً من أن تُبَدِّل الوجود البريطاني بوجود أمريكي مباشر عمدت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الاعتماد على قوى محلية وهي إيران ، والعربية السعودية بالدرجة الأولى لتوفر أمناً للخليج ، وذلك عندما قمنا بتقديم المساعدات والعون العسكري ، وقد سارت سياسة العمودين بشكل معقول إلى أن انهار أحدهما ، وهو إيران عام ١٩٧٩ م » ص ١١٣

ويتحدث عن الشاه قائلاً :

(إضافةً لرفضه المشاركة في فرض حظر النفط خلال عامي ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ واصل الشاه اعترافه بإسرائيل ، وتزويد أسطولنا في البحر المتوسط بالوقود ومنع العراق من القيام بأي دور هام في حرب الغفران ، وذلك بتحريك قواته إلى الحدود الإيرانية العراقية) ص ١١٥

ويستمر في تعداد مآثر الشاه على أمريكا والغرب ، إلى أن يقول :

(فالشاه كان يُشكِّل الزنْد الذى حمى السعوديين الأغنياء ، لكنها المُعرَّضين للخطر ، وقام بتسوية النزاعات الإقليمية مع البحرين والعراق ، وشجع على قيام الترتيبات من أجل الأمن الإقليمي مع دول الخليج الأخرى ، وانتهت الآن تلك الجهود بكاملها بعد أن طار حكم الشاه » ص ١١٦

وينقل عن أحد مسئولي وكالة الاستخبارات المركزية في أوائل عام ١٩٧٩م قوله :

« إن تفكك الجيش الإيراني أصبح حقيقةً واقعةً سبَّبت تغييراً هائلاً في ميزان القوى في المنطقة بأسرها ، فقد ظل جيش إيران لسنوات عديدة يقوم بدور وضع المطامع العراقية ضد إسرائيل والكويت تحت المراقبة ، وقام بحماية سلطان عمان ضد عصابات ظفار الذين تزودهم اليمن الجنوبية

بالسلاح ، وأكد ضمان السادات في مصر والأمراء السعوديين ، وقد حدث الآن فراغٌ مُغْرٍ حيث كان جيش الشاه واقفاً بالمرصاد » ص ١١٦

وتتلخص نظرة نيكسون إلى المستقبل (أي في الثمانينيات) لضمان مصالح أمريكا والغرب المتسترة بغلاف أمن الخليج في أمرين :

الأول :

استمرار سياسة العموديين مع إحلال العراق محل إيران ، وهذا ما سيأتي تفصيل الحديث عنه .

الثاني :

الوجود العسكري المباشر حيث يقول :

« وبما أن النفط ضرورة وليست حاجة كمالية للغرب ، فإن على الولايات المتحدة وحلفائها في أوربا واليابان أن يجعلوا تقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية لحكومات المنطقة أفضلية ، ويولوا هذا الأمر أولوية في اهتماماتهم ، وذلك لصد أي عدوان عليها داخلياً كان أو خارجياً . وينبغي علينا أن نكون على استعداد وراغبين اتخاذ أية إجراءات - بما في ذلك الوجود العسكري القوي وحتى العمل العسكري - من شأنها أن تحمي مصالحنا وينبغي علينا أن نكون على استعداد لتأييد أقوالنا بالأفعال . وإعلان مبدأ العظَمة بأن الولايات المتحدة ستقاوم أي تهديد للمنطقة بالرد العسكري ؛ لن يعدو أكثرَ من كونه مدفعاً فارغاً ، ما لم يكن لدينا قوات في موقعها لكي تجعل تعهدنا محطاً للثقة به .. وإنه لمن الضرورة بمكان أن يكون للولايات المتحدة وسائل أساسية وقاعدة متواضعة (يعني في الموضوع) بحيث تساعدنا على عرض قوتنا بشكل مقنع في المنطقة ؛ وأن ترد بشكل سريع على آية تهديدات مفاجئة » ص ١٣١ إلى أن يقول :

« وفوق كل شيء يجب أن تؤكد بشكل واضح لا غموض فيه لزعماء

العربية السعودية وعمان والكويت والدول الرئيسية الأخرى في المنطقة ، بإنه في حال تهديدها من قِبَل القوات الثورية سواءاً كانت تهديداً من الداخل أو الخارج ، فإن الولايات المتحدة ستقف إلى جانبهم بكل حزم ، وهكذا لن يعانوا المصير الذى لقيه الشاه ...

وعلينا أيضاً أن تكون لدينا القوات التي يمكننا أن نستخدمها ، فقد نركب المخاطر في الدفاع عن مصالحنا في الخليج العربي لكننا سنعرض أنفسنا لركب مخاطر أكثر جسامة إذا ما أخفقنا في الدفاع عن تلك المصالح » ص ١٣٢

وهذه الخطة من نيكسون التي كانت عماد سياسته هي ما يسميه البعض « مبدأ نيكسون » القائم على الجمع بين المشاركة الإقليمية المدعومة ، والاستعداد للتدخل المباشر . (انظر الوجود العسكري الغربي في الشرق الأوسط ص ٣٠) .

ومن المؤلم : المثال الذى ضربه نيكسون للمملكة نقلاً عن مسؤول أمريكي كبير وهو قوله (والخطاب موجّه لإحدى الصحفيات) :

« افترضي أنك امرأة ثرية تعيشين لوحدك في بلدة صغيرة عاطلة بالمداخن ، كل واحد يدرى أن تحت وسادتك مجوهرات بالملايين وليس من شرطة تحميك ، فلابد أن يأتي « الشريف » من حين لآخر ويعطيك قبلة كبيرة ويولّي أدباره . أفهل يُشعرك هذا بالأمان ؟ » ص ١١٩ ويعني بالشريف : الولايات المتحدة ، والكلمة تطلق في الأصل على السيد أو المالك الإقطاعي[1]

إن ما ذكرناه آنفاً بإجمال ، قد دفع مخططي السياسة الأمريكية إلى

---

(١) بل تطلق على رئيس الشرطة أو المأمور ، لا كما قال المصنف حفظه الله تعالى . الناشر

اتخاذ إجراءات متعددة لضمان الأهداف الاستراتيجية . ومن هنا شرعت أمريكا في إنشاء قوة عسكرية خاصة مهمتها الانتقال السريع إلى الخليج ، والانتشار فيها سبقاً لأي حدث . وفي الوقت نفسه استمرت سياسة العمودين المتساندين كأمر واقع في المنطقة .

والكلام عن هذه القوة كثير جداً ، وأكثره مترجم متداول . ولذلك سأقتصر على ذكر المعالم البارزة عنها ، والإشارة إلى بعض المصادر فقط .

يُرجع كثير من الباحثين تكوين هذه القوة إلى التوجيه الرئيسي رقم ١٨ الصادر في أغسطس ١٩٧٧ (أي قبل ١٣ عاماً من الغزو بالضبط) بعد تولي كارتر بمدة وجيزة (انظر مثلاً قوة الانتشار السريع عبد الهادي ناصف ص ٩١) .

ثم كان التقرير السنوي لعام ١٩٧٧ - المقدم في أوائل عام ١٩٧٨ من وزير الدفاع المتضمن أن حالة طوارىء حقيقية مفتعلة من أمريكا هي المبرر للتدخل العسكري في الخليج ، وقد سبق نقله ص (٢٠) .

وفي نوفمبر ١٩٧٩ تم اعتقال الرهائن الأمريكيين في طهران الخميني ، وبعد ذلك بستة أسابيع اقتحم الروس أرض أفغانستان المسلمة ، وهذا ما عجّل بإظهار قوة الانتشار السريع ورصد الميزانيات الضخمة لها . (ص ٩١ قوة الانتشار) .

* * *

١ - هـ - تشكيل قوات التدخل السريع وردود الفعل :

في ٢٠ يناير ١٩٨٠ ورداً على العدوان السوفيتي على أفغانستان ألقى الرئيس كارتر خطاباً مهماً للشعب الأمريكي قال فيه :

« إن أية محاولة من جانب أية قوة أجنبية للسيطرة على منطقة الخليج الفارسي سوف تعتبر بمثابة عدوان على المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية ، ولسوف يقابل مثل هذا العدوان بكافة الوسائل الضرورية بما في ذلك القوة العسكرية »[1]

هذا الإعلان الذي أطلق عليه المحللون : « مبدأ كارتر » هو الترجمة العملية والواضحة للخطط الأمريكية السابقة ، وعليه جرى تشكيل القوة من فيلق مستقل ، وقوات أخرى منتقاة من فروع القوات الأمريكية المختلفة .

ومع أنه لا يهمنا كثيراً تشكيلات هذه القوة ، فسوف أذكر بعضه لتتذكر جميعاً أنها هي التي سمعنا الأشياء ، عن وصولها في الأيام الأولى من الحملة الغربية على المنطقة :-

١- الفرقة ٨٢ المنقولة جواً وتُعَدُّ ١٥,٢٠٠ فرد ، ويحتاج نقلها من « فورت براغ » إلى السعودية - كما قدروا - ١١ يوماً تصل الدفعة الأولى : ٢٠٠٠ جندي من المظليين خلال ٢٤ ساعة .

٢- الفرقة ١٠١ المنقولة جواً ، وتعد ١٧,٩٠٠ فرد ، ومقرها « فورت كامبل » بولاية كنتاكي .

٣- فرقتان بحريتان يتألف كل منهما من ٢٠,٠٠٠ فرد تقريباً .

٤ - الفرقة ٢٤ مشاة « ميكانيكي » .

---

(١) هذا المبدأ ذكرته مصادر كثيرة جداً منها ما يأتي في الصفحة التالية .

٥- الفرقة ٩ مشاة .

٦- اللواء المدرع ١٩٤

٧- اللواء ٦ فرسان .

٨- كتيبتا كوماندوس .

٩- قوة مشاة برمائية .

ويبلغ مجموع التشكيلات حوالي ٢٠٠,٠٠٠ فرد ، بالإضافة إلى ١٠٠,٠٠٠ فرد احتياطي . ونسبة النساء لا تقل عن ١٠ ٪ أى ٣٠,٠٠٠ امرأة .

وقد خصص لهذه القوات عدد هائل من الطائرات يتراوح بين ٦٠٠ - ١٠٠٠ طائرة ، هذا عدا القطع البحرية الكثيفة التي تتفاوت ما بين حاملات الطائرات الضخمة إلى الزوارق السريعة[1]

(وهنا نتوقف لنذكّر أصحاب السماحة والفضيلة ، بأن هذه القوات بعينها هي التي جاءت إلى المملكة ؛ وبالعدد نفسه ، حيث المقرر اكتمال وصولها للملكة في ١٥ أكتوبر الموافق ٢٦ ربيع الأول ، وقد تستغرق حوالي شهر تقريباً لتعزيزها ، ولهذا أعلنوا أن المواجهة - إن كانت - ستكون في منتصف نوفمبر أي نهاية شهر ربيع الثاني تقريباً !!) .

وقد ظل الحديث عن قوة التدخل السريع هو الشغل الشاغل للصحافة الخليجية خاصة في أواخر عام ١٩٧٩ م - ١٣٩٩ هـ ، وشاركت في ذلك الصحف السعودية وبعض الصحف الإسلامية أيضاً ، وعلى المستوى الرسمي

---

(١) انظر « قوة الانتشار السريع والتدخل العسكري الأمريكي » ، جيفري ريكورد / ترجمة عبد الهادي ناصف ، مصر ١٤٠٣ هـ . و « الوجود العسكري الغربي في الشرق الأوسط » ، حسين أغا وزميلاه ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨٢ (وانظر الملاحق) .

عبرت بعض الدول عن رفضها للفكرة بصراحة في حين إكتفى بعضها بالتلميح .

ولعل أكثر حكومة رفضت ذلك صراحة هي الكويت ، ثم العراق ، وقد كان لشجب الكويت صداه في الصحافة السعودية ، فقد علقت جريدة الندوة على ذلك قائلة : « إن الرفض الكويتي للتهديدات الأمريكية باستخدام القوة في منطقة الخليج ليس تعبيراً عن موقف الكويت فحسب ، بل عن موقف العرب كلهم ، وقالت : إن الأمة العربية على استعداد لمواجهة هذه التهديدات واحتمالاتها المختلفة بكل ما أوتيت من قوة » . وقالت : « إن الحديث المكرر عن المصالح الحيوية في منطقة الخليج (وهو تعبير أمريكا) تذكير بقانون الغاب الذي كنا نظن أن العالم قد نسيه وطواه إلى الأبد » . أما العراق فقد حذر صدام حسين (الذى كان نائباً للرئيس حينئذ) من أن أى شروع في محاولة للاعتداء على أي بلد عربي ، أو بترولي « من شأنها أن تفعل النار في بترول المنطقة ، وتحرق في المقام الأول المعتدين أنفسهم !!) .

وقد أعقب ذلك فتور في العلاقة بين المملكة وأمريكا ، خاصة وأنه جاء عقب تحفظ المملكة على اتفاقية كامب ديفيد ، وقطع علاقاتها مع مصر .

وقد اهتمت أمريكا كثيراً بردود الفعل العربية الواقعة والمحتملة وأهم المخاوف كانت كما عبَّر (جون كولينز) الذى أعد دراسة كاملة عن قوات التدخل ، هي أن « قوة عراقية مشكلة من عشر فرق ومدعومة بأسراب من المقاتلات يمكن أن تمثل تحدياً لهذه القوات الأمريكية في حال تدخلها » (السياسة الكويتية العدد ٣٨٩٧ في ٤ / ٥ / ١٩٧٩) .

ولعل من دواعي السخرية المُرَّة أن الصحافة الكويتية (القومية خاصة) عبَّرت كثيراً عن اعتزازها بالقوة العراقية التي يخافها الأمريكان !!.

(تماماً كما فعلت هي والصحافة السعودية عندما أعلن صدام أنه سيحرق نصف إسرائيل بالكيماوي المزدوج)

أما الصحافة الأمريكية والغربية ، فقد أخذت القضية من جوانب عدة ، لعل أبرزها ما يتعلق بخطط التنفيذ وكيفيته ، فقد شرعت في نشر كثير مما يسمى « سيناريوهات » التدخل منذ بداية الفكرة ، وقبل إعلان كارتر لمبدئه ، أي عقب حظر النفط مباشرة .

من ذلك ما نشرته صحيفة (صانداي تايمز) في عددها الصادر في ٩ / ٢ / ١٩٧٥ وفيه :

« أنجز مجلس الأمن القومي في الولايات المتحدة دراسة تفصيلية لخطة سرية للغاية وضعتها وزراة الدفاع لغزو حقول النفط السعودية في حال نشوب حرب أخرى في الشرق الأوسط ينجم عنها حظر نفطي عربي جديد .

وقالت : إن هذه الخطة واسمها بالشيفرة : « الظهران الخيار الرابع » قد وضعها البنتاغون لهجوم أمريكي على حقل الغوار النفطي ، الذي يحوي ٤٠ ٪ من احتياطي العالم المعروف من النفط ، وتقود هذا الهجوم تسع كتائب مشاة محمولة جواً من قاعدتها في ولاية (نورث كارولينا) وبحماية جوية إلى الظهران في الخليج ، عن طريق القاعدة الجوية الإسرائيلية في (حتسريم) وتستولي كتائب المشاة على حقل النفط في الظهران حيث تعمد إلى إجلاء الرعايا الأمريكيين ، ومن ثم تتابع سيرها إلى الداخل حتى حقل الغوار بعد أن تستولي على أرصفة الموانىء ومستودعات التخزين في (رأس تنورة) ، وبعد ذلك بثلاثة أيام تتبعها فرقة مشاة بحرية قوامها ١٤,٠٠٠ رجل ، يتم إرسالهم إلى الخليج بطريق البحر » (النفط العربي والتهديدات الأمريكية بالتدخل ١٩٧٣ - ١٩٧٩ مروان بحيري ط . ١ ١٩٨٠)

وقد تحدثت هذه الخطط عن خلو المنطقة من السكان ، وخلوها من الأشجار

(أي بعكس فيتنام) ونحو ذلك من العوامل المشجعة على التنفيذ ، الضامنة للبقاء ، وفي الوقت نفسه تحدثت عن العوامل المضادة التي يمكن تلخيصها بأنها فنية وتقنية بالدرجة الأولى ، وقد تكون تخريباً للمنشآت تقوم به القوات السعودية .

وفي شهر مارس ١٩٧٦ أى قبل ١٥ سنة إلا قليلاً نشرت جريدة الأنباء الكويتية ترجمة لمقال نشر في إحدى المجلات الأمريكية ، عنوان الترجمة « خطة أمريكية لاحتلال السعودية وتسليم إيران للسوفيت » .

ابتدأ المقال بتأكيد أنه ليس أمام الحكومة الأمريكية إلا اختيارين : إما الانهيار الاقتصادي ، وإما الاستيلاء على المملكة العربية السعودية . ثم قال :

« لا تضحكوا ، فلدى البنتاغون خطة جاهزة لتنفيذ هذه الفكرة التي كانت موضع بحث وتمحيص بين عدد من الخبراء الاقتصاديين والمتخصصين في شؤون الشرق الأوسط داخل الحكومة وخارجها بصورة جدية ومفتوحة

لكن لم لا ؟ ليست هذه فكرة جيدة بل إنها ضرورة مطلقة بالنسبة للولايات المتحدة ولباقي بلدان العالم غير العربية ، إذا أرادت استعادة التحكم بحياتها الخاصة

ففي الشرق الأوسط يقطن ١٠ ٪ من مجموع سكان العالم ، بينما تحتوى أراضيه على ٧٥ ٪ من الاحتياطي العالمي للنفط ولابد من تصحيح هذا الخطأ

لن يتأتى هذا التصحيح إلا عن طريق استخدام القوة ، فلم نسمع حتى الآن أن أي عربي تخلى عن بئر نفطية عن طيب خاطر . والولايات المتحدة هي الوحيدة التي تملك قوة تمكنها من تحقيق هذه الخطوة ، وعليه فإن الاستيلاء على المملكة العربية السعودية لن يكون مشكلة » .

ويمضي المقال في الحديث عن إرضاء السوفيت بإعطائهم إيران ، ويعدّد المكاسب الكبرى للاحتلال الذى سيغير اسم البلاد إلى « الولايات المتحدة السعودية » كما قال : وأفاض في الحديث عن بذخ شيوخ النفط وإسرافهم ، مع الفقر المدقع لشعوبهم وشعوب العالم الثالث ويمضي المقال متهكماً :

« لو استولينا على السعودية وأعطينا كل واحدة من سكانها – ٨ ملايين نسمة – مساحة قدرها ٤٠ فداناً من الرمال وجملاً ، وألفي دولار في العام أي ما مجموعه ١٦ مليار دولار في السنة لأحبّنا بما فيه الكفاية » !!.

ثم يقول :

« بعد الاستيلاء على السعودية ، سنبدأ محاكمات مجرمي الحرب ، وسنطبق قوانين العقوبات التقليدية في البلاد ، أن السارق تقطع يده والقاتل يقتل ، ولا شك أنه ما من شيخ سيفلت من هذه العقوبة أو تلك ، وسيحاكم معهم مساعدوهم من مديري شركة النفط العربية الأمريكية .. » .

ويستمر المقال في سخرية لاذعة إلى أنا يقول :

« إن اقتصادنا وسياستنا الخارجية ومستقبلنا أصبحت جميعها مرهونة بجدة وليس بواشنطن ، لكن الاستيلاء على السعودية سيغيّر هذا الوضع كلياً وأخيراً ستتاح لنا فرصة الذهاب إلى الحرب بأهداف ثابتة .

وإذا كنا قد أزهقنا أرواح ٥٠ ألف نسمة لضمان أمن (فان ثيو) و (كاوكي) في فيتنام ، فبوسعنا خوض حرب آمنة من أجل أنفسنا !! »

وصدق الله العظيم : (**قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر**) .

ولعل مما يجدر ذكره أن بعض هذه الخطط اقترح احتلال ليبيا بدلاً من السعودية .

ومما يدل على أن أمر هذه القوة وُضع موضع الجد ، أن الولايات المتحدة الأمريكية عرضت الفكرة على دول أوربية كثيرة ، وكذلك اليابان وبعض الدول التي يهمها شأن النفط ؛ وذلك بغرض تكوين رأى عالمي موحد ، ومشاركة عالمية ولو رمزية ؛ لتكون غطاءً للاحتلال الأمريكي ، وقد صدرت بهذا الشأن وثيقة في غاية الأهمية ، هي عبارة عن « تقرير شارك في إعداده أربعة من أكبر معاهد الدراسات التي تتمتع بسمعة عالمية كبيرة وهي :-

(١) المعهد الملكي للشؤون العالمية في لندن ، (ب) والمجلس الأمريكي للعلاقات الخارجية ، (ج) والمعهد الفرنسي للعلاقات الدولية ، (د) ومعهد الأبحاث الألماني للسياسة الخارجية ، وهذه المعاهد الأربعة معاهد جادة ، والدراسات التي تقوم بها تتحول عادة وتصبح الخط العام لسياسة دولها ، وفي بعض الأحيان تقوم بدراسات بتكليف من حكوماتها مباشرة » .

« تتحدث المعاهد الأربعة في تقريرها عن قوة الانتشار السريع ، وأمن الخليج ، وضرورة حماية منابع النفط والتدخل فى القلاقل الداخلية في دول العالم الثالث من خلال منظور العلاقات الأمريكية السوفيتية ، والأمريكية الأوربية ، وتوصي بوجود قوة أمريكية في الخليج بدعم من أوربا واليابان » .. (القبس العدد ٣١٧٥ في ١٦ / ٣ / ١٩٨١) .

والتقرير نشرته صحيفة القبس الكويتية في أعداد متوالية من تاريخ ١٦ إلى ٢٦ / ٣ / ١٩٨١ ونشره في السنة نفسها مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة .

وإذا ما تابعنا الخطط الأمريكية فإننا سنجد أنه مع استمرار قوة التدخل السريع في تطوير قدراتها ، وإجرائها تدريبات عالية في مناطق مماثلة تقريباً لأجواء الخليج ، والاستعداد المستمر بما في ذلك تعلم اللغة العربية بلهجاتها المحلية ، لم تغفل السياسة الأمريكية الجوانب الأخرى الموازية والمكملة

للخطة ، ومنها :-

أ - إيجاد قوة إقليمية موالية تقوم بدور الوجود الأمريكي المباشر مع تلافي سلبيات هذا الوجود ، وهو ما يعني الاستمرار في سياسة العمودين المتساندين ، مع وضع بديل لإيران ، وهذا ما اقترحه الرئيس نيكسون بعد سقوط الشاه مباشرة حيث يقول :

« السؤال الذي يدور في خلد كل إنسان الآن هو : تُرى من سيحل محل إيران ؟ » .

ويجيب « يعتبر العراق - الراديكالي حالياً - أقوى قوة عسكرية في منطقة الخليج ، فقوته العسكرية تعتبر كاسحة على الصعيد الإقليمي ، فهو يمتلك أربعة فرق مدرعة ، وفرقتين ميكانيكيتين بثلاثة آلاف دبابة سوفيتية وفرنسية ، وعربات مصفحة ، بالإضافة إلى أربعة فرق مشاة ، وهكذا . وبدون دعم سوفيتي يمكن للعراقيين أن يتحركوا بقوة إلى أي مكان يقررون التحرك إليه ، سواء في الكويت أو العربية السعودية أو إيران » .

وبعد أن يشير إلى الخلافات الحدودية والمطالبة بالكويت ؛ يرجع فيقول :

« إن الغالبية العظمى من خزانات النفط الخام في الخليج العربي تقع على بعد بضعة مئات ألأميال على الحدود العراقية ، في المناطق القريبة من إيران والكويت والعربية السعودية والإمارات العربية المتحدة ، والفائدة التي يحققها العراق لقاء أى تحرك ناجح إلى أي أو إلى جميع تلك المناطق سيكون تحويلاً هائلاً للموجودات .

ويقوم العراق اليوم بصفقة عراقية مقررة، تهدف إلى السيطرة السياسية في منطقة الخليج ، وعلى الرغم من أن نظام الحكم اليساري فيه كان مناوئاً لأمريكا ،فهو لا يريد رؤية الهيمنة السوفيتية على الخليج قائمة ، ولذا فقد

يرغب في تعديل موقفه السابق نحو اتخاذ موقف أكثر اعتدالاً ، ومن هنا يمكننا القول بأننا على صواب حين نسعى نحو تحسين العلاقات مع العراق » (المذكرات ص ١١٧ - ١١٨) .

وهذا ما حدث فعلاً ، فقد اقتضت الخطة الأمريكية بعد سقوط الشاه ، تدمير قوة إيران العسكرية ، وبذلت أمريكا جهوداً ضخمة على جميع المستويات لكي لا تقع ترسانة الأسلحة الضخمة التي كدسها الشاه في أيدي أعداء حقيقيين لأمريكا ، ومن ذلك العمل على تحييد الجيش الإيراني واستدعاء الخبراء العسكريين والفنيين الأمريكيين الذين تقول بعض التقديرات أنهم كانوا يزيدون على ٨٠ ألفاً ، ومنع قطع الغيار ، بل محاصرة إيران اقتصادياً ، وحمل دول الأطلسي على ذلك ، وتجميد الأرصدة الإيرانية في البنوك الأمريكية ، وأخيراً - وكما تدل وثائق كثيرة ومؤشرات واقعية لا مجال لعرضها الآن - دفعت بالعراق إلى الحرب معها ، أو على الأقل ساعدت في تهيئة ذلك ، وكان طبيعياً أن تقوم دول الخليج بمساندة العراق لأسباب كثيرة ، منها : تهديدات قادة الثورة الرافضة بتصدير الثورة ، ومنها : الدوافع القومية والوطنية ، ومنها : تشجيع الغرب والولايات المتحدة - خاصة - لذلك ، والتخوف من قيام تحالف إيراني سوري يشمل رافضة لبنان ومنظمة التحرير !! مما قد يشكّل خطراً - ولو جزئياً - على إسرائيل أيضاً .

وهناك أسباب أخرى لهذه الحرب لا ينبغي إغفالها ، منها : حرص شركات السلاح الغربية على استنزاف الثروة الهائلة لهذه المنطقة ، وحرص الغرب عموماً شرقيه وغربيه ، على تعويق التنمية فيها ، وبقائها منطقة اشتعال وميداناً للتنافس الضاري ..

وفي كتابه المهم الذي أصدره نيكسون قبيل توقف الحرب العراقية

الإيرانية وهو : (١٩٩٩ نصرٌ بلا حرب)[1] يقول :-

« إذا كانت هناك حرب يستحق كل من طرفيها أن يخسرها فهي الحرب العراقية الإيرانية ، وإذا كانت هناك حرب لا يمكن فيها أن تجازف الولايات المتحدة بأن يخسرها أي من الطرفين فهي الحرب العراقية الإيرانية » ص ١٣٣

والواقع أن الغرب لم يضع العراق بديلاً لإيران في مهمة « شرطي الخليج » ، وملء الفراغ الأمني ، وإنما أراد استمرار توازن القوى في طريق الانحدار إلى أن تنهار الجبهتان كلاهما (إيران من جهة ، والعراق ودول الخليج من جهة أخرى) .

وبذلك يحدث « الفراغ الأمني الكبير » الذي هو ستار الغرب للسيطرة المباشرة على المنطقة بأي شكل كان (ومن ثمرات ذلك بالنسبة لإسرائيل إحلال تحالف سوري إسرائيلي بمباركة أمريكا محل التحالف الإيراني السوري ، وإمكانية قيام إسرائيل الكبرى وسورية الكبرى على أنقاض العراق والأردن ولبنان !!) .

ومن هنا نرى بوضوح استمرار الحرب العراقية الإيرانية مدة الخلافات والمفاوضات بين روسيا وأمريكا ، ثم توقفها المفاجيء عند وصولهما إلى الخطة المبدئية للوفاق الدولي والنظام العالمي الجديد ، الذي يريدان تعميمه على العالم كله - وخاصة - على منطقة الخليج ..

إن أحداث المنطقة هي كما يعبرون « الانعكاس الواضح » للعلاقات بين المعالقة الدوليين ، وقد كان العالم منذ الحرب العالمية الثانية يتنازعه القطبان المتنافسان « أمريكا وروسيا » ، ولكن العقد الماضي شهد سباقاً

---

(١) إعداد وتقديم المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة ط ١ ، ١٤٠٩ هـ مركز الأهرام للترجمة والنشر وقد كتبه أواخر سنة ١٩٨٨ م .

عاجلاً بين فكرتين نقيضتين : الأولى تعددية الأقطاب وهو ما تسعى إليه فرنسا واليابان وألمانيا والصين وكوريا والهند ، وأهم جبهاته بالطبع هي فرنسا التي تمردت على حلف « الناتو » منذ أيام ديجول ، والتي ترفض الدخول تحت المظلة الأمريكية ، وتريد أن تتزعم أوربا من جهة ، وتسيطر على أكبر قدر ممكن من العالم الثالث من جهة أخرى . والأخرى هي فكرة القطب الواحد : وهو ما تريده أمريكا الساعية دوماً إلى التفرد بزعامة العالم[1]

وهذا ما سنرجع إلى الحديث عنه قريباً إن شاء الله ، والمقصود هنا هو أن فرنسا – خاصة – كان لها دور واقع في المنطقة مع الخميني أولاً ثم في تبني العراق ومساندته ثانياً ، وكانت روسيا تطمع في أن تجعل إيران « أفغانستان الثانية » وخاصة أن حزب « تودة » احتفظ بوضع ثابت خلال الثورة وبعدها ، وهو ما استعصى فهمه على كثيرين !! .

والمهم الآن أن هذه العوامل وغيرها (ومنها فشل محاولة استنقاذ الرهائن عسكرياً ، جعلت أمريكا تضع خطة بعيدة المدى تقوم أولاً على التفاهم بين المتنافسين على الفريسة ، ثم الهجوم عليها فيما بعد ، وتوارت عن الأنظار – إلى حد ما – فكرة التدخل المباشر وظهر ذلك جلياً في انتخابات الرئاسة الأمريكية لعام ١٩٨٤ حيث تنافس الطرفان في التعهد بعدم إرسال قوات أمريكية للقتال في الخليج !!! . (انظر كتاب ١٩٩٩ نصر بلا حرب ص ١٣٣) .

ومع ذلك فإن أمريكا كانت تستغل كل حدث في المنطقة من شأنه أن يزيد وجودها العسكري ، أو يتيح لها نوعاً من التدخل المباشر مثل قضية

---

(١) أما المعسكر الشرقي فإنه منذ إحساسه بالتقهقر الواضح لجأ إلى فكرة أوربا الموحدة شرقاً وغرباً ، ليكسر حدة الهيمنة الأمريكية وليحقق مكاسب أخرى تحدثنا عنها في محاضرة : « الشيوعية بين السقوط وإعادة البناء » التي ألقيت في الرياض رجب ١٤١٠ هـ .

الرهائن ، وقضية الألغام ، وطلب الكويت الحماية الأمريكية ، برفع العلَم الأمريكي على ناقلاتها .. ، والزيارات (كما يسميها الأمريكان) التي تقوم بها بوارجهم وطائراتهم للمنطقة بين حين وآخر !!.

والخطة البعيدة المدى يمكن إنجازها في « وضع نظام أمني للمنطقة يجعلها تابعة أو جزءاً من حلف الأطلسي » حيث يمكن الجمع بين وجود قوة إقليمية تشارك في الدفاع والنفقات وتخفف من وطأة ما يمكن أن يُسمّى الاحتلال من جهة وبين الدور القيادي المباشر والمتحكم للولايات المتحدة . وهذا هو موضوع الفقرتين التاليتين .

* * *

١ - و - النظام الأمني المؤقت في الثمانينيات الميلادية (العشريات الهجرية):

إن من أهم العقبات - إن لم تكن أهمها - للسيطرة الفعلية المباشرة على المنطقة ، أنَّ الاحتلال العسكري المكشوف أصبح مرفوضاً على الصعيد العالمي كله ، حتى داخل أمريكا نفسها له معارضة قوية . لكن أقوى معارضة له بالطبع من دول المنطقة وشعوبها التي ستثور على المحتل وإن طال الزمن ، ومع أن الروابط القوية التي تربط حكومات المنطقة بأمريكا لا تخفى ، فإن رفض الوجود الأمريكي الصريح هو ما تعلنه هذه الحكومات دوماً بل لا تريده أصلاً

ولهذا لم يلق الإلحاح الأمريكي للسماح بقواعد عسكرية أمريكية في المنطقة أذناً صاغية ، كما رفضت دول المنطقة الدخول في حلف مباشر مع أمريكا ، بل رفض بعضها وخاصة العراق والمملكة فكرة الفراغ الأمني نفسها ، وهذا الأمر بالإضافة إلى اتفاقية كامب ديفيد وذيولها ، أدى إلى وقوع خلاف واضح بين أمريكا والمملكة وصل إلى درجة أن كلاً منهما بدأ يفكر في بديل لعلاقاته مع الآخر

فأما المملكة فقد لوّحت مراراً بإقامة علاقات مع الاتحاد السوفيتي ، ووطدت فعلاً علاقاتها بفرنسا وشرعت في علاقات مع الصين ، وأهم من ذلك أنها وجدت في العراق الجار القوي الذي يتفق معها في هذا الهدف ، فتوطدت العلاقات بين البلدين بشكل لم يسبق له نظير من قبل ، وغضّت أمريكا الطرف عن ذلك لأسباب منها : أنه عمل قومي بحت لا تريد الإثارة حوله ، ومنها : أن ذلك يساعد على توازن القوى مع إيران كما سبق ، ومنها : أن العراق تخلى عن راديكاليته تجاه الغرب ، بل ضرب الحزب الشيوعي العراقي بقوة .

أما أمريكا فقد استبدلت بالسعودية سلطنة عمان (الدولة العربية التي

وقفت مع مصر السادات حينئذ) ولها في ذلك مبرر استراتيجي واضح وهو أن مضيق هرمز تابع للسلطنة ، وهو الممر المائي الوحيد للخليج الذي يمر منه (حينئذ) ٩٥ ٪ من نفط الخليج كله ، والسيطرة عليه سيطرة على الخليج كله في الواقع . وتجنباً للقول بأن أمريكا تتحكم في المنطقة ومضاعفات ذلك دولياً ، أشركت أمريكا معها حليفتيها الطائعتين بريطانيا وألمانيا الغربية ، وسعت إلى إقناع دول الخليج أيضاً بتكوين حلف عالمي (يضم الدول الثلاث ودول الخليج ومصر وإسرائيل !!) لحماية أمن المضيق من السوفيت والإرهابيين !![1]

وتبنى السلطان قابوس المشروع الذي سمي « المشروع العماني » ، وعرضه على دول المنطقة فرفضته كلها ، وحسب ما نشرته مجلة اقرأ السعودية رفضه العراق بعد وصول مبعوث قابوس بساعات ، ثم رفضته الكويت والسعودية والإمارات . وكان العنوان الذي وضعته المجلة هو « تحاول أمريكا دخول الخليج العربي ، لماذا رفضت الدول الخليجية المشروع العماني ؟ »[2]

على أن فشل المشروع أدى - فيما أدى - إلى التفكير في إقامة تعاون إقليمي بين دول المنطقة ، وخاصة بين العراق والسعودية من جهة ، وبين السعودية ودول الخليج الأخرى من جهة أخرى .

هذا الحلف الذي يسمى « مشروع براون » نسبة إلى (هارولد براون) وزير دفاع أمريكا حينئذ ، كان له صدى واسع في الصحافة العربية والغربية يهمنا منها موقف المملكة الذي أشرنا إليه ونكتفي بإيراد مثالين عليه :

---

(١) المقصود بهم جبهة ظفار الشيوعية ، وبعض المنظمات الفلسطينية التي كانت تهديداتها الجوفاء بنسف الناقلات فيه بحيث يؤدى ذلك إلى تعذر الملاحة فيه مبرراً لأمريكا بالتحكم فيه

(٢) مجلة اقرأ العدد ٢٤٢ في ١١ / ١٠ / ١٩٧٩ م ص ٢٠ ، ٢١

١ – المقابلة الصحفية لوزير الدفاع السعودى الأمير (سلطان) في النمسا ، ونقل عنها ما جاء في مجلة اقرأ بقلم : (عامر الجابري) بعنوان : « الخليج ولعبة الفراغ الأمني » وهو

« إذا تركنا جانباً الحديث عن قوة التدخل السريع التي أعدتها الولايات المتحدة الأمريكية في السنوات الماضية ؛ وأجمعت كل الأوساط والمصادر السياسية في العالم على أن منطقة الخليج هي محور الغاية من وراء تشكيل هذه القوة الأمريكية ، أقول : إذا تركنا هذا الحديث جانباً مع التسليم بخطورته وضرورة التصدى له خاصة بعد أن أعلن وزير الدفاع الأمريكي (هارولد براون) عن تأييده القوي لتشكيل قوة التدخل الأمريكي السريع ، فإنه ثمة أحاديث أخرى تجاوز رواجها وانتشارها حدود الظن ودوائر الحدس والتخمين ، وأصبح تداولها من واقع الفعل والتخطيط والتدبير .. (يعني الأحلاف) .

وقبل أسابيع كان الأمير (سلطان بن عبد العزيز) وزير الدفاع والطيران والمفتش العام ، في زيارة للنمسا وعقد أثناء الزيارة لقاءاً سريعاً مع رجال الصحافة ، وفي ذلك اللقاء أجاب سموه بمنتهى القوة والإيجاز على أخطر سؤال يتعلق بمنطقة الخليج ، إذ أثار السؤال مسألة الفراغ الأمني في المنطقة بعد الأحداث الإيرانية وزوال ما يوصف بمظلة الشاه الأمنية .

لقد قال الأمير (سلطان) حول هذه النقطة القديمة – الجديدة :

إن الأحداث الإيرانية لم تترك أى فراغ ، وإنه لا يوجد فراغ إلا في أذهان وضمائر الذين يتحدثون عنه ؛ فهم لايعرفون أوضاع المنطقة . وقال : إن مسألة الأمن في منطقة الخليج من شأن دولها لا غير »[1]

---

(١) المصدر السابق .

وفي عدد آخر من المجلة نفسها كتب (بشير العوف) بعنوان رئيسي : « خطوط واضحة وصريحة للعلاقات العربية الإيرانية » ، وكان العنوان الجانبي : « صيانة أمن الخليج وحماية منابع النفط تتحقق بتعاون عربي إيراني سليم ، وإلا فإن الأخطار ستكون كبيرة والخسائر شاملة خصوصا وأن المتنطحين كثير والمتلهفين كبار !! » .

والمقصود بهذه العبارة واضح .

٢ - وفي مقابلة مهمة أجراها (سليم اللوزى) مع الأمير (سعود الفيصل) وزير الخارجية دار الحديث فيها عن الموضوع نفسه وكانت المقابلة بعنوان :

سعود الفيصل لسليم اللوزى :

« لم يكن هناك شرطي للخليج والسعودية لا تدخل في أحلاف »[١]

يقول اللوزى في مقدمتها :

« روى لي سفير دولة غربية أن (هارولد براون) وزير الدفاع الأمريكي فوجيء بهدوء أعصاب المسئولين السعوديين عندما زار المملكة قبل عشرة أيام .. كانت التقديرات الأمريكية أن أحداث إيران لابد أن تكون قد أثارت مخاوف السعوديين وجعلتهم أكثر استعداداً لقبول ترتيبات أمنية تعوض ما خسره الأمريكيون من قواعد وتسهيلات (يعني في إيران) ، فإذا بوزير الدفاع يجد نفسه مركوناً لمدة ساعتين وهو ينتظر موعد اجتماعه مع الأمير (فهد) ولي عهد المملكة »

وأول المقابلة

---

(١) من المهم هنا أن نذكر أن الحلف المقترح يسمى حلف « ميتو » اختصاراً من : (ميدل إيست تريتي أورقا نزيشن) ، وهو الذى يمكن أن يعاد الآن بعد الأزمة

(Meddle East Treaty Orjanizatun)

« قلت عشية زيارة (هارولد براون) وزير الدفاع الأمريكي لكم قال : إنه يحمل أفكاراً لاستراتيجية أمريكية عريضة لمواجهة الأخطار التي تهدد منطقة الخليج ، فهل صحيح أنه درس معكم إمكانية إنشاء اتفاق دفاعي إقليمي تشترك فيه السعودية ومصر وأمريكا ، كما نشرت صحيفة واشنطن بوست الأمريكية وجريدة لوموند الفرنسية ؟

قال :

ج : نحن لا ندخل في أحلاف خارج الإطارين العربي والإسلامي فهما الوحيدان اللذان يحكمان السياسة الخارجية للمملكة » .

(يلاحظ أصحاب الفضيلة : أن أمريكا أرادت تخويف المملكة بالثورة الإيرانية واحتمالات غزو سوفيتي لتدفعها إلى النظام الأمني المقترح ، وأنه لم ينف الأمير في جوابه العرض الأمريكي) .

ومنها : س : إذن لم يجر الحديث في أية ترتيبات دفاعية مشتركة كالمعلومات التي تقول : « إن هناك خطة أمريكية لإرسال ثلاثة آلاف خبير عسكري أمريكي برئاسة الجنرال (سيمون) لحماية المنطقة الشرقية من احتمال قيام عمليات تخريب في حقول النفط » (يقصد من الشيعة الموالين للخميني)

ج : الخطط الأمريكية والسوفيتية موجودة في واشنطن وموسكو ، أما نحن فليست لدينا خطة من هذا النوع ، أمن المملكة واستقرارها يعتمدان على سواعد أبنائها .

(يلاحظ أيضاً أن الأمير لم ينف ذلك) .

س : هناك فراغ عسكري أوجده سقوط نظام الشاه فما هي الترتيبات الأمنية التي ستتخذ في المنطقة ؟

ج : « عندنا قناعة كاملة في أن أمن المنطقة يعتمد على عنصرين :

الأول : عدم التدخل الأجنبي في شؤوننا .

والثاني : الحرص على علاقات التفاهم بين دول المنطقة وتعاونها فيما بينها ، ونحن لا نرى تهديداً على أمن الخليج من دولة ، وليس هناك أي خطر من التغيرات الداخلية طالما ليس هناك تدخل خارجي فيها »[1]

(يلاحظ التلميح بأن الخطر هو من أمريكا نفسها ، وليس من دول الخليج كما يزعم الأمريكان) .

ولعل من المفيد هنا أن نسجل موقف الاتحاد السوفيتي من الموضوع ، وارتياحه للموقف السعودي ، فقد كتب أحد الكتاب الشيوعيين قائلاً : « أعلنت وزارة الخارجية الإيرانية في آذار ١٩٨١ تصريحاً أدانت فيه بشدة خطط الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ، ودولاً أخرى في حلف (الناتو) لتدخلها في شؤون أقطار الخليج العربي، وفي نفس الوقت ضمنت الملاحة الحرة في مضيق (هرمز) باسم جمهورية إيران الإسلامية .

وقد صرحت أيضاً القيادة السياسية العراقية ، أنها ضد جر أقطار الخليج العربي المباشر في نظام القواعد العسكرية الأمريكية . ومنذ سنة بُوشيرَ ضغط أمريكي على الدوائر الحاكمة في السعودية لأجل أن توافق على الدخول في حلف خليجي بالأشتراك المباشر لأمريكا ، ودول إمبريالية أخرى ، وأعلن مراراً ممثلون رئيسيون في حكومة السعودية أن بلدهم سيشارك فقط في إطار عربي أو إسلامي .

ونظراً للرفض الحاسم لأحلاف عسكرية إمبريالية من قبل بلدان عربية وإسلامية وحيادية، فقد خافت السعودية أن تفقد تأثيرها الخاص إذا دخلت مباشرة تحت أغراض الهيمنة الأمريكية» اهـ (من يهدد منطقة الخليج العربي) أدموند. د ص.

وقد زادت هذه الأحداث والتصريحات من ضرورة التعاون الإقليمي ، خاصة بين السعودية والعراق ، وتحمست العراق لذلك كثيراً ، ونددت

---

(١) الحوادث العدد ١١٦٥ ، ٢ مارس ١٩٧٩

بالقوتين العظميين ، وطالبت دول المنطقة بالتعاون معها ومع السعودية في هذا الشأن ، ومن الأمثلة على ذلك مقال طويل نشرته مجلة الوطن العربي ، اشتمل على سخرية لاذعة من الرئيس (بريجنيف) والمشروعات السوفيتية لتطويق الخليج عن طريق عدن وأثيوبيا .. إلخ . وكذلك من المشروع الأمريكي ، وقالت :

« يبدو أن مسرح الأحداث في الخليج يتهيأ لمواجهة ثلاث تنظيمات تتعلق بإجراءات الحفاظ على سلامته وتأمين سلامة مواصلاته ومرافقه البترولية وهي:

١ - التنظيم الأمريكي عبر سلطنة عمان .

٢ - التنظيم السوفيتي عبر عدن .

٣ - التنظيم الخليجي - السعودي - العربي .

وكان مما قالت :

« كانت الحملات الإعلامية المستوردة والمكشوفة من جانب إيران والولايات المتحدة وعديد من المصادر ، تعمل على إذكاء نيران المخاوف في آن واحد من السعودية والعراق » (يعني لدى دول الخليج الصغيرة : الكويت ، والبحرين ، والإمارات ..) .

قالت : « وبصبر عالج كلٌّ من الطرفين العراقي والسعودي هذه المخاوف مقيماً الدليل على أنها وهمية » ولا تستند إلى أساس موضوعي ، وبينما لجأ العراق إلى مبادرات الانفتاح نحو دول الخليج عبر وفود رسمية ، أرسلها تحمل عروضَ ومشاريعَ التعاون في جميع المجالات ، والانطلاق من المفهوم القائل : إن المهمة القومية الاستراتيجية للعراق تستوجب منه أن يتجه جنوباً لصد محاولات السيطرة الإيرانية والأجنبية على الخليج ، وفي وقت واحد مع اتجاهه غرباً لتأكيد استمرار دوره الأساسي في أي مواجهة مع إسرائيل[1]

---

(١) مزاعم البعثيين في مواجهة إسرائيل كلها هراء لا أساس لها من الصحة ، و نذكر هنا ما قاله (حسن العلوي) رئيس تحرير أهم مجلة عراقية سابقاً ، في مقابلته مع مجلة المجلة عدد ٥٥٦ الماضي حيث قال : « لم أقرأ - وقد أمضيت في الحزب =

وبينا بدأت تتجلى ثمرات هذه السياسة في تسوية المشكلات العالقة مع الكويت وتسوية قضية اقتسام المنطقة المحايدة مع السعودية ، مما ساعد على إيجاد بداية انفراج حقيقي كانت السعودية تعالج نتائج مؤتمر مسقط .. » إلخ .

وذكرت المجلة : « أن الفراغ الاستراتيجي الذي حصل ، بدأ يغري على إحياء المحاولات الأمريكية والسوفيتية للتحكم في الخليج في سباق للسيطرة على منابع النفط ومصبّاته »

وبعد أن فخرت المجلة وأشادت بالعرض العسكري السعودي الذي أقيم في (خميس مشيط) حينئذ قالت :

« وكتطور طبيعي منطقي تجددت الاتصالات من أجل تفاهم دفاعي إقليمي ، وشددت هذه الاتصالات بشكل خاص على العراق بالنظر لأن القوى المتوافرة لديه تجعله الديدبان الفعلي للخليج ، وهكذا فإن الأبحاث المتعلقة بإيجاد تنظيم عربي مشترك تؤلف مؤشراً على زوال عهد الشكوك والمنافسات العقيمة لمصلحة عهد التعاون والتضامن على جميع الأصعدة »[1]

ولا يخفى عليكم أن هذا التنظيم قد تم فعلاً ونعني به « مجلس التعاون الخليجي » ، وأن العراق وإن لم ينضم إليه فإن الموقف العراقي والخليجي كان موحداً خلال السنوات العشر في أكثر القضايا ، وخاصة أثناء الحرب العراقية الإيرانية . ونذكرُ هنا بعض الأمثلة :

١ - كانت إذاعات دول مجلس التعاون تذيع أخبار الانتصارات العراقية بحماس زائد ، وتقول كل ليلة تقريباً ، (وقد تكبدت القوات الإيرانية كذا قتيلاً بينا فقدت القوات العراقية كذا شهيد) ، هذا غير التأييد الدائم في الأمم المتحدة والمحافل الدولية ، وإصرار دول الخليج على أن إيران هي البادئة

---

* ربع قرن - كتاباً لمؤلف عراقي ، ولم أسمع محاضرة لمحاضر عراقي عن فلسطين ،

(١) العدد ١٤٣ في ١ / ١١ / ١٩٧٩ م

بالحرب !! وإشاداتها المتكررة بمبادرات صدام لإنهاء الحرب وتعنت إيران في ذلك

٢ - كانت الصحافة العراقية والسعودية كأنهما نسخة واحدة خلال العشر سنوات جميعاً ، والفرق بينها أن مجلة « المجلة » السعودية تبدأ بالحديث أو الإخبار عن المملكة مقرونة بصور الملك فهد ، ثم تعقبه بحديث مماثل أو إخبار عن العراق مقروناً بصور صدام .. في حين أن المجلات العراقية - مثل الوطن العربي والتضامن - تبدأ بالعراق وصدام ، حتى أننا كنا نستغرب أن المجلات العراقية تبدو وكأنها ملتزمة بنفس التعليمات الصحفية السعودية مثل عدم نشر الصور الفاضحة ومثل عدم نشر أي مقالة إلحادية واضحة . (كما هو الشأن في صحافة الخليج !!) وفي الوقت نفسه نجد أن الصحف السعودية تكاد تكون ملتزمة بالخط القومي في تحليلاتها وآرائها ، أما المهرجانات الثقافية والأندية الأدبية وأشباهها ؛ فإنها كانت متماثلة النهج والفكر إلا قليلاً (التعاون الحداثي خير مثال على ذلك) .

في هذا الوقت كان الدعاة الذين يعرفون حقيقة البعث وصدام - ولأعبر عن نفسي شخصياً - أقول كنت أشعر بالغربة وأحياناً بالإحراج عندما أسأل عن عقيدة البعث ، وعن رأيي في دعاوى صدام حسين الإسلامية لأنني أعلم علم اليقين كفرَه وكفرَ عقيدته وحزبه مهما ادعى وتستر وأصرح بذلك ، وكثيراً ما يواجهني اللوم من جهتين : من جهة أنني مخالف لما عليه ظاهر الحال من سياسة الحكومة بشأنه ، ومن جهة أن احتمال أن يكون الرجل تاب أو استتيب أمر وارد !! كما يقول بعض المشايخ !! (وأذكّر المشايخ الأفاضل وخاصة الشيخين محمد بن عثيمين وصالح الفوزان بما قلته عقب كلمتيهما القيّمتين في اجتماع دعاة القطاعات العسكرية وغيرها في موسم الحج الماضي ليلة الخامس عشر من ذي الحجة ، بالعزيزية الجنوبية عن خطر البعثين والأخطار الأخرى المحدقة بهذا البلد عامة) .

وهكذا استمر التحالف الوثيق إلى وقوع الحادث الأخير باجتياح الكويت ، ولا يعني هذا أنه لم توجد خلافات مطلقاً ، لكن ما وجد بين بعض دول مجلس التعاون كان أكبر مما وجد بين السعودية والعراق ، وأبرز فتور حدث في العلاقات هو عند إعلان المجلس الرباعي (العراق ، مصر ، اليمن ، الأردن) ومع ذلك قيل إنه خطوة أخرى نحو الوحدة العربية الشاملة ، ثم كان مؤتمر بغداد الأخير في ذي القعدة ١٤١٠ هـ الذي أشعر الناس لأول مرة بأن العالم العربي يمكن أن يتفق ويتوحد (ماعدا سورية)[1]

والمقصود أنه خلال هذه السنوات العشر لم يكن يدور في إعلامنا أيّ كلمة عن كفر البعثيين أو انحرافهم وغدرهم ، بل سكت إعلامنا عن مجازر « حَلَبْجَة » المأسوية وعن الإعدامات التي تعرض لها الاتجاه السلفي في العراق ، والحق أنه لم يكتف بالسكوت ، بل شن مع الإعلام العراقي حملة مضادة على الصحافة الغربية التي كانت تهاجم صدام ، ولا أريد أن أذكر أمثلة على ذلك لأنها أكبر وأظهر من أن أمثل لها بآحاد أو عشرات من المقالات والتحليلات .

وبصراحة أقول إن إعلامنا - بل إنَّ حُبَّنا وبُغضَنا عامَّةً - لم يكن ملتزماً بما أمر الله . وأن المليارات التي أعطيت لصدام لم تكن مشروطة بأي شرط من شأنه التخفيف من الحرب الشعواء التي يشنها الحزب وزبانيته على الدعاة ، وخاصة السلفيين منهم ، حيث أن حيازة كتب شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية تعد تهمة في العراق ، والذي يحصل عليها من السفارة السعودية يأخذها كالسارق اللائذ بالفرار ،

---

(١) كما أن اتفاقية الحدود معه ومع غيره كانت بغرض إثبات استقرار المنطقة مُناقضةً لما يكرر الأمريكان دائماً (مع أن صداماً كان يريد بها أيضاً تحييد السعودية في نزاعه مع الكويت)

وكذلك يعاني الدعاة الآخرون كالإخوان العراقيين (وللعلم نقول أن العقيدة السلفية منتشرة بين الإخوان العراقيين أكثر من غيرهم كالسوريين مثلاً) .

ومع ذلك سكتنا - والله يغفر لنا - متأولين أن قيام صدام في وجه الطاغوت الرافضي « الخميني » يجعل هذه المساعدات الهائلة داخلة ضمن مصلحة الإسلام العامة .

ولقد استطرد بنا القلم فلنعد إلى موضوع النظام الأمني ولنرجع إلى أوائل الثمانينيات فنقول :

عندما رفضت دول المنطقة الوجود الأمريكي المباشر والأحلاف العسكرية مع أمريكا ، وأعلنت مراراً وتكراراً وعقب كل اجتماع تقريباً أن أمن الخليج مسؤولية أبنائه ، جاءتها أمريكا من الباب الآخر ؛ من الثغرة التي لم نسدها بعد ، وأعني بها التخلف التقني ، ومخالفة أمر الله بالإعداد الذاتي مع التوكل عليه وحده ، وذلك حين لجأت دول المنطقة إلى شراء صفقات هائلة من الأسلحة المتطورة جداً ، والأنظمة الحديثة للقيادة والسيطرة والاتصالات ، بغرض الدفاع عن نفسها طبعاً ، ولكن أيضاً بغرض إقناع أمريكا بأنها قادرة على حماية نفسها ، واسترضاءً لها من ناحية أخرى ، هذا مع رفع إنتاج النفط بما يناسب مصلحة الغرب ، وإن كان مُضِرّاً باقتصاد هذه الدول وثروات أجيالها .. وغير ذلك مما لا مجال لذكره .

ومن هنا خططت أمريكا والغرب لاستنزاف ثروات المنطقة من جهة ، واستخدام هذه الأسلحة المتطورة لتكون مجرد مقدمة للوجود العسكري الأمريكي من جهة أخرى .

ولعل الغريب حقاً أن الصحافة الأمريكية نشرت هذا المخطط الخطير البعيد المدى ومما نشر سنة ١٩٨١ أن عام ١٩٩٠ - الذي هو عامنا هذا - سوف يكون عام الربط المتكامل بين القوات المحلية المتسلحة بهذه الأسلحة

وبين القوات الأمريكية في المنطقة وفق تلك الأنظمة المتقدمة للسيطرة والقيادة والاتصال .

وإليكم بعض ما نشرته صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية بتاريخ ١ / ١١ / ١٩٨١ ميلادية وترجمته بعض المجلات العربية في حينه مع توطئة له ، وموضوعه طائرات الأواكس والنظام المتطور للاتصالات :

« على أساس الفرضية القائلة أن الولايات المتحدة تتهيأ لمزيد من التورط ، وأن إمكانية استخدام قوات التدخل السريع تصبح يوماً بعد يوم إمكانية حقيقية ، يصبح من الممكن البحث في معنى صفقة « الأواكس » في إطار استراتيجية الولايات المتحدة العسكرية العامة تجاه المنطقة .

وتشير عدة معلومات إلى أن بيع صفقة « الأواكس » إلى السعودية جاء كمحاولة لسد ثغرات في إمكانيات قوات التدخل السريع ، وهذه الثغرات كانت تتمثل أساساً بالنقص في القواعد العسكرية المتواجدة في مناطق مناسبة ومفيدة بالنسبة للخطط التي وضعت لقوات التدخل السريع ، وخاصة بسبب عدم وجود إمدادات كافية من المياه العذبة للقوات والمعدات وعدم وجود نفط مكرر ، وعدم وجود تسهيلات مناسبة للمواصلات والنقل في القواعد التي حصلت عليها إدارة كارتر إذ إن « دييغو غارسيا » ومصر والصومال وكينيا وعمان (باستثناء البحرين) كلها تبعد ما بين ٥٠٠ و ٢٣٠٠ ميل عن النقاط الحساسة لتواجد القوات الأمريكية ، أما الثغرة الأساسية الثانية فقد تمثلت في النقص في طائرات النقل للقوات والمعدات ، وعلى هذا الأساس خططت الإدارة الأمريكية منذ عهد كارتر لسد الثغرات من خلال تطوير نظام أمني إقليمي جديد بقيادة السعودية ، التي تشكل النقطة المركزية فيه . وكان روبرت كومر (الذي كان مساعداً لوزير الدفاع في إدارة كارتر والمخطط الأساسي لتطوير قوات التدخل السريع) قد لعب دوراً هاماً في تطوير الاستراتيجية

السعودية – الأمريكية المشتركة ، والتي بدأ البحث فيها بين وزير الدفاع في إدارة كارتر (هارولد براون) والأمير (سلطان) وزير الدفاع السعودي في خريف عام ١٩٨٠ ، والتي بموجبها كان على الطرف السعودي إعطاء تسهيلات ومنشآت للتخزين ، لصيانة المعدات العسكرية المتمركزة في المنطقة والخاصة بقوات التدخل السريع ، مقابل حصول السعودية على نظام قيادة وسيطرة واتصالات متطور (سي ٣) بالإضافة إلى عتاد آخر مثل طائرات « الأواكس » وعلاقات القنابل لطائرات (اف – ١٥) .

وقد صرح كومر « أن بعض الناس يدعون بأن قوات التدخل السريع مبنية على أسس واهية » وكان ممكناً اعتبارها كذلك حسب رأيه في حال عدم تطوير النظام الدفاعي المشترك مع السعودية .

وتكمن الخطة الأولية لتطوير هذا النظام الدفاعي في برمجة أحدث الأساليب في مجال تكنولوجية العقول الإلكترونية للتنسيق بين إمكانيات الدفاع الجوي السعودية ، وإمكانيات الدفاع الأمريكية في المنطقة. كما قدمت دراستان أخريان حول إمكانيات التنسيق بين القوات الأرضية والبحرية السعودية وإمكانية دمج القوات الثلاث في نظام قيادة وسيطرة واتصالات موحد.

ويبدو أن هناك اقتراحات أخرى لدمج نظام القيادة والسيطرة والاتصالات (سي ٣) فيما بعد مع نظام إلكتروني لرصد المعلومات ، مما سيشكل نظام قيادة وسيطرة واتصالات استخبارات (سي ٣١) . وسيرتكز العمود الفقري لنظام (سي ٣١) على أكثر الأساليب تطوراً في مجال تنظيم المعلومات وعرضها ويأمل القادة السعوديون والأمريكيون بأن يتمكن نظام (سي ٣١) من الربط بين الأجزاء الأخرى من البرنامج المشترك في عام ١٩٩٠ في إطار شبكة قتال موحدة . وتشير المعلومات أن البنتاغون قد قام بدراسات لعملية تركيب نظام (سي ٣١) القادر على الربط بين القوات

السعودية والقوات الأمريكية وقوات محلية أخرى . وقد قدرت تكاليف تطويره بنحو ٥ مليارات دولار » .

ومن المهم هنا أن نذكر أن هدف الصفقة النهائي ظل سراً حتى عن الكونجرس .

تقول المقالة : وقد عبّر أحد المحرضين من أجل الحصول على تأييد الكونجرس للصفقة عن صحة عملية إخفاء المعلومات الأساسية عن الكونجرس قائلاً : « نحن مجبرون لإطلاعهم على المعدات التي نبيعها ولكننا لسنا مجبرين على شرح معنى هذه المعدات » !! .

« ومن مهمات نظام القيادة والسيطرة والاتصالات التي ستحصل عليها السعودية ، تنسيق عملية دخول القوات الأمريكية بشكل موسّع إلى المنطقة عند الحاجة وسيشمل النظام عدداً من الأعتدة الأخرى المتطورة ، ستبيع الولايات المتحدة البعض منها على شكل صفقات جزئية فيما بعض ، والبعض الآخر ستدخلها مع النظام نفسه . هذا بالإضافة إلى بعض الأسلحة التي ستشتريها بعض الدول الخليجية الأخرى باسمها وبتمويل سعودي يهدف دمجها في هذا النظام ، وقد بينت « ورقة عمل » محدودة التوزيع وخاصة بالبنتاغون وُزّعت على أعضاء الإدارة لتحضيرهم لمناقشة قضية الأواكس في الكونجرس أن الصفقة تهيىء الأوضاع لتطوير نظام إقليمي للدفاع الجوي لكل منطقة الخليج بدعم أمريكي . كما بينت هذه الدراسة « أن السعوديين قد أبدوا رغبتهم للعمل باتجاه نظام دفاعي إقليمي موحد » . وأن الولايات المتحدة وافقت على دعم هذا النظام الإقليمي وقد جاء في هذه الورقة : « أن المملكة السعودية قد اتخذت المبادرة في تكوين مجلس التعاون الخليجي مع البحرين وعمان وقطر والإمارات العربية المتحدة والكويت ، وأن إحدى الأهداف الأساسية لهذا المجلس هي تطوير الدفاع المشترك في منطقة الخليج » وبيّنت أن الأواكس والنظام الدفاعي الأرضي المرتبط بها « سيسمح بربط شبكات

الدفاع الجوى لهذه الدول في نظام موحد » . ويبدو واضحاً أن البنتاغون يأمل أنه في حال استطاعة السعودية تنظيم هذا النظام الدفاعي الموحد لدول الخليج ، فالخطوة التالية هي المطالبة بتواجد عسكري أمريكي دائم ، مما سيؤدي إلى خلق تحالف محلي عسكري جديد ضد الاتحاد السوفيتي ، وعلى حدوده الجنوبية مكمل لدفاعات حلف الأطلسي في الغرب .

وبينما لايبدو واضحاً بالنسبة للمخططين في الولايات المتحدة عدد دول الخليج التي ستوافق على الدخول في هذا النظام الإقليمي الذي ستسيطر عليه السعودية ، إلا أن السعودية سائرة في خططها على أساس دخول عدد من هذه الدول . وهذا واضح من خلال بناء السعودية لمنشآت عسكرية معقدة ، وأكبر بكثير من حاجتها الذاتية ، ومن المنتظر أن تصل قيمة هذه المشاريع خلال العقد الحالي إلى ما بين ٣٥ و ٦٠ مليار دولار . وتطمح بعض أوساط المخططين العسكريين في الولايات المتحدة أن يضم هذا التحالف مصر في المستقبل ، وينسق لدورها العسكري في المنطقة »

وبالفعل تمت عملية إرسال طائرات الأواكس إلى مصر بعد مقتل السادات ، وصرح أحد العسكريين الأمريكيين بأن : « هدف البعثة الموجودة في مصر هو القيام بتدريبات بهدف تعريف عناصر المراقبة الأرضية المصريين ، والذين يعملون على أجهزة الرادار عادة على طائرات الأواكس » . ويتابع قائلاً : « ونأخذهم (العناصر) على طائرات الأواكس ، ونطلعهم على أنواع أجهزتنا ، ثم يقومون بتطبيق نفس الأساليب التي يستخدمونها على الأرض » اهـ .

وهكذا نجد أن سياسة « العمودين » وكذلك صفقات الأسلحة الضخمة المتطورة لم تكن حلاً نهائياً ، بل كانت وسيلة مؤقتة وممهدة لما تحقق في سنة ١٩٩٠ عقب الغزو العراقي !! وسوف تكشف الأيام المزيد

٢ - أ - الوفاق الدولي والنظام العالمي الجديد (في التسعينات) وظهور عنصر جديد في المعادلة الدولية

لن نتحدث هنا عن الوفاق الدولي ونتيجته الكبرى « النظام العالمي الجديد » من جميع جوانبه ، وإنما سنعرض له من جهة علاقاته بالصحوة الإسلامية والمنطقة موضع الحديث .

وعليه سيكون عرضنا للموضوع في شكل متوازن أو متداخل بين القضيتين « الوفاق والصحوة » ، وإلى أي مدى يؤثر كل منهما في الآخر باعتبارها العنصر الجديد في المعادلة ، ونصل من ذلك إلى معرفة ما إذا كان صدّام قد فعل ما فعل صدفةً أم استباقاً للأحداث أم ماذا ؟

إن فكرة الوفاق الدولي ليست وليدة العصر الحاضر (أي مؤتمر يالطه كما يقال) بل هي نموذج معاصر للأحداث الأوربية في مطلع العصر الحديث (ق ١٧ ،١٨) . هذا إن لم نقل إن أصلها هو التحالف الغربي الكبير في الحملات الصليبية الأولى ، والواقع أن جوهر القضية في هذه التحالفات قديمها وحديثها واحد ؛ وهو أن مصلحة الغرب تقتضي تناسي خلافاته الداخلية والتوحد لمقاومة الخطر الخارجي الذي يعد الإسلام رأس الحربة فيه

فقد تحالفت أوربا المتناحرة ضد الدولة العثمانية فيما سمي « الحلف المقدس » كما ظلت تركية رغم أنها دولة أوربية من جهة الموقع - خارج الاتفاقيات الدولية الأوربية إلى عهد قريب لسبب واحد هو أنها مسلمة ، ومنذ أسابيع فقد سئل الرئيس التركي (أوزال) عن سبب عدم قبول تركية - عضواً في الوحدة الأوربية رغم أنها عضو في حلف الناتو ،

إن الحرب العالمية الأولى انتهت كما هو معلوم بالنقاط الأربع عشرة للرئيس الأمريكي (نلسن) التي أصبحت أساس مبادىء عصبة الأمم ، والتي بمقتضاها اتفق الغرب على وضع العالم الإسلامي تحت الوصاية الدولية ؛ أي تحت السيطرة الغربية . مع أن الأجزاء المهمة منه كانت قد وضعت من قبل تحت سيطرة الغرب باسم « الحماية » (ومنها : عدن والكويت ومشيخات الخليج) وبقيام الحرب العالمية الثانية انهارت عصبة الأمم كما انهارت القوة الاستعمارية التقليدية ، وبرزت قوتان جديدتان هما : أمريكا وروسيا ، وكان وفاق المنتصرين فيها المتمثل في مؤتمر يالطة وفي التحكم في العالم من خلال الهيئة الدولية الجديدة « هيئة الأمم المتحدة » ، إذ احتفظ الطواغيت الخمسة الكبار بحق النقض « الفيتو » في مجلس الأمن الدولي ؛ كما يسمى !!.

وكان أيضاً التنافس الحاد بين القوتين في السيطرة على العالم وخاصة المناطق الحيوية منه (ومنها بالطبع : العالم الإسلامي الذي تفككت مجتمعاته ودوله ومنظماته مُرّعاً بحسب التبعية لأي من المعسكرين) . وكان السباق الهائل على امتلاك أشد الأسلحة فتكاً ودماراً ، لكن دون مواجهة عسكرية شاملة ، وهذه هي المرحلة التي سميت « مرحلة الحرب الباردة » ، وقد حدثت أزمات كثيرة كادت أن تجعلها ساخنة مثل : « أزمة كوبا » ، إلا أن التفكير في الوفاق واقتسام مناطق النفوذ ظل ينمو باستمرار وخاصة من الجانب الأمريكي الذي كان يعلم أن القوة العسكرية هي كل ما يملكه الخصم من أسباب القوة .

وعندما برزت الصين لتكون القوة الثالثة في العالم سارعت أمريكا إلى مد الجسور إليها ، وكان الوفاق السريع بينهما الذي قسم الكتلة الشيوعية

وكان الرئيس نيكسون مهندسه (وبوش سفير له فيها) .

ولأسباب يطول ذكرها أظهرت كلا القوتين استجابة أكثر للوفاق ، ودارت المفاوضات الطويلة ببطء وكانت نتائجها محدودة ، غير أن المفاجاة الكبرى حدثت في السنوات الأخيرة فقط ، حيث ظهر للعالم كله أن الغرب قد أعد العدة لوضع كوني جديد ، وأنه سائر في طريق تنفيذه بسرعة مذهلة ، وقد تجلت مظاهر هذا الوفاق في الخطوات العجلى لتوحد أوربا الغربية في دولة واحدة سكانها ٣٢٥ مليوناً مع التمهيد لتوحد أوربا كلها ، ومنها روسيا وكتلتها ، وهو ما يطالب به (جورباتشوف) نفسه ابتداءً بتوحيد شطري ألمانيا ، وصار من المتوقع أن يأتي اليوم الذي تصبح فيه ٣٥ دولة أوربية دولة واحدة ، بل ربما أصبح لها مقعد واحد في مجلس الأمن والأمم المتحدة !!.

وستكون لهذه الدولة أقوى الروابط بالولايات المتحدة التي تبارك هذا التوحد وتطمع من خلاله إلى زعامة الغرب كله ، وهكذا فمن المتوقع أن تشهد السنوات القليلة القادمة تجمعاً غربياً يزيد سكانه على ألف مليون نسمة ، ويملك ما يزيد على ٧٥ ٪ من اقتصاديات العالم ، أما قوته العسكرية فهي بمثابة غول هائل لا يفكر أحد في مقاومته !!.

لقد تساقطت أنظمة المعسكر الشرقي كما يتساقط ورق الشجرة الجاف عند هبوب الريح ، وتهاوت صروح الأنظمة التسلطية في أكثر العالم ، وبشكل درامي مثير تم الإعلان عن حلّ حلف وارسو والسعي ليكون الغرب كله حلفاً واحداً ، نواته حلف الناتو . وبسرعة أيضاً سُحبت القوات من أوربا الوسطى وظهرت آثار ذلك سريعاً على العالم الثالث ، حيث شهدت كل مناطق الصراع النهاية نفسها ، أو هي في الطريق إليها (أنجولا ، أثيوبيا ، السلفادور ، نيكارجوا ، كمبوديا ، كوريا ، لبنان وأخيراً نذكر أفغانستان التي لها وضع متميز ومع ذلك فمن المتوقع أن تتم التسوية قريباً) .

والمشكلة الوحيدة التي لم تُحلّ هي مشكلة الصراع العربي الإسرائيلي ، وليس ذلك لأن الوفاق أهملها أو تناساها، فهي لب المشكلات ومحور القضايا كلها ، ولكن لحساسيتها البالغة - كما يعبرون - ، ومن هنا اقتضى الأمر أن يكون الإخراج من نوع خاص جداً ، كما سنرى .

والشعار الذي يرفعه الوفاق الدولي للنظام الجديد هو « السلام » ، وإبعاد شبح الحروب عن العالم كله ، وحل كل القضايا سلمياً عن طريق الأمم المتحدة ، وتوظيف إمكانيات العالم الاقتصادية لرفاهية الشعوب ، وضمان لقمة العيش بدلاً من تبذيرها على التسلح ، خاصة في العالم الثالث الجائع المدين !!.

لم يكن غريباً أن يسود تفاؤل كبير معظم أرجاء العالم وأن تداعب الأحلام المعسولة أكثر الشعوب المنكوبة ، إلا أن الساسة وكثيراً من المفكرين في العالم كانوا حذرين أو متشائمين من المستقبل المزعوم !!.

فقد أدرك كثيرون أن السلام القادم معناه : « بقاء القوي قوياً بدون تكاليف جديدة ، وإبقاء الضعيف ضعيفاً إلى الأبد بسد أى منفذ له ليكون قوياً » .

إن الوفاق الغربي لم يسقط من حسابه تلك القوى الإقليمية الصاعدة ، بل حسب لها بكل دقة وهو موقن أن سيطرته الأبدية لن تتم إلا بإجهاض هذه القوى ، ولكن كيف يتم ذلك ؟ هذا هو لب المشكلة ، ولو عرفنا ذلك لعرفنا إلى أين ستنتقل القوات المسحوبة من أوربا ، وأين ستتحول القواعد المغلقة في خطوط المواجهة والصراع بين الحلفين المندمجين ؟ .

لاشك أن من بين القوى التي يحسب الغرب حسابها : « الصين ، واليابان ، والهند ، وكوريا ، واستراليا » ولكن ما مدى خطورة هذه الدول على الغرب ؟ وبعبارة أخرى : أليس من الممكن استدراجها للانضمام إلى التحالف الغربي وإعطائها مكاسب محددة ؟.

وإذا كان هذا الأمر وارداً ، بل واقعاً ، فأين هي إذن القوى المتوقع تمردها ونشوزها ؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال لابد من التنبيه إلى معادلة مهمة ، وهي :ـ

إنه إذا كان بدهياً أن مصدر قوة الغرب وغيره هو امتلاك السلاح النووي ، فإن هذا هو أيضاً مصدر مشكلة الغرب تجاه القوى الإقليمية !!.

أي إن القوة النووية بقدر ما تردع العدو عن مهاجمة صاحبها تردع صاحبها أيضاً عن استعمالها ، وهكذا تم الوفاق الغربي في ظل التكافؤ في تملكها ، أما حين تدور المعركة بين طرفين أحدهما نووي والآخر مغامر من العالم الثالث ، فإن الحسم سيكون لصالح الأقدر منهما على استخدام الأسلحة التقليدية ، والأكثر عزماً ، وتدريباً ، و إلخ .

لأن اللجوء إلى الخيار النووي هو بمثابة انتحار عالمي !!.

قد لا تكون هذه المعادلة صادقة ١٠٠ ٪ ، ولكنها حق إلى حد كبير ، ومن هنا لم يخف الغرب أن أخطر ما يواجهه هي القوى الإقليمية ذات التسلح التقليدي الكبير ، وخاصة إذا حكمتها زعامات متطرفة ذات طموح عالي ، أو عداوة تاريخية للغرب !!.

وعندما يتحدث الغرب بصراحة أكثر يقول إن أخطر منطقة تواجهه هي منطقة الشرق الأوسط . وإن أخطر منافس لمستقبله هو الصحوة الإسلامية ، وهنا نأتي على بعض الشواهد التي نجتاز منها إلى إرهاصات الأزمة الحالية :

فمن موضوع نظرة الشرق والغرب إلى المنطقة بعد سقوط « يالطا » ، وعقد قمة « مالطا »[1] كتب أحد المحللين في جريدة الحياة بتاريخ الإثنين ٩ / ٣ / ٩٠ م فكان مما قال :

---

(١) مؤتمر يالطا بعد الحرب العالمية الثانية ، وأما مؤتمر مالطا الذي وضع أسس النظام الجديد ، فهو قمة مالطا الأخيرة بين الرئيس الأمريكي والسوفيتي !!.

« الانتقال من (يالطا) إلى (مالطا) بدأ يُكوِّنُ مجتمعاً دولياً أخذ يوماً بعد يوم يستكمل ملامحه الجديدة .. ولكن من خلال الابتهاج بالاتجاه إلى نزع التسلح والأمل بعدم اللجوء إلى النزاع المسلح هناك أسئلة كثيرة تحتاج إلى جواب ، من هذه الأسئلة مثلاً : ما هي وظيفة الجيوش في المستقبل ؟ وما هي الأخطار التي يتوقعها الشرق والغرب ؟ ... » .

وللإجابة على الأسئلة نقل الكاتب إجابة رئيس الأركان الفرنسي لإحدى المجلات :

« والسؤال هو : سيدي الجنرال : تقولون بأن الأوضاع تتطور بسرعة جنونية فهل يحتمل أن يكشف الغرب والشرق خلال العشرين عاماً القادمة أعداء آخرين من خارج أنفسهم ؟

وهذا هو جواب الجنرال : عندما افتتح المسيو (شيفارنادزه) وزير خارجية الاتحاد السوفيتي ندوة فيينا في مارس ١٩٨٩ قال ما نصه :

يجب علينا من خلال مناقشاتنا أن ننظر بعين الحذر إلى أمر واقع، وهو أنه في جنوبي أوربا وفي الجنوب الغربي من آسيا توجد قدرات عسكرية يمكن أن تصبح أعظم من قدراتنا . اهـ . إنني (المتكلم هو الجنرال الفرنسي) أشاركه وجهة نظره هذه ، إن ابتهاج الشرق والغرب بالاتجاه نحو نزع التسلح لا يجب أن يجعلنا نتغاضى عن الأخطار التي يمكن في وقت من الأوقات أن تأتي من تلك المناطق ، إن الأوضاع الراهنة في : إيران ، العراق ، سورية ، الأردن ، إسرائيل ، مصر ، ليبيا ، لا توحي بالاطمئنان ، وبكل أسف فإن الأخطار تبدو الآن وكأنها جديرة بالإهمال لا يؤبه لها ، ولكننا في الشرق والغرب قدمنا لهذه الدول السلاح والتكنولوجيا و التِّقَنِيِّين ، مما جعلهم يتعلمون الإنتاج بأنفسهم إنني أعتقد بأن هذه البلاد ستشكل عنصر عدم الاستقرار ، إنها جميعاً تتمتع بالقدرة على التوسع الديمغرافي (زيادة عدد

السكان) وتعاني من أوضاع اقتصادية صعبة ، والديانة تجنح إلى التطرف ، كل ذلك يضاف إلى قدرات عسكرية بالغة الخطورة ولا نستطيع أن نقف مكتوفي الأيدى أمام هذه الأخطار »

وفي عدد آخر بتاريخ ٢١ / ١٢ /١٤١٠ هـ يقول كاتب آخر هو مدير المركز العربي لبحوث التنمية والمستقبل بالقاهرة عن تحديات أوربا :

« يتزايد القلق في أوربا الغربية وجنوب أوربا بشكل خاص ، وفرنسا تحديداً ، من تطور يطلقون عليه المد الإسلامي ، وتطور آخر يسمونه التغيير الديمغرافي ، والتطوران حادثان في شمال أفريقية » .

وهنا نذكّر بأن هذا الكلام قيل خلال الحديث الغربي عن تصنيع عسكري قامت به مصر والعراق بمساعدة الأرجنتين ، وأفاد من الفخر الأحمق الذى كان صدام يعلنه ، والاستعراضات العسكرية ، والإعلان عن قدرات عسكرية مبالغ فيها ، مع التهديدات الكاذبة بحرق نصف إسرائيل بالكيماوي المزدوج ، وصاحبه أيضاً الحملة على مصنع الدواء في ليبيا ، فالسلاح الكيماوي هو بديل المستضعفين عن السلاح النووي .

وفي الوقت نفسه حدثت تطورات أخرى أشار إليها هؤلاء وستؤكدها النقول الآتية ، وهي بعض فرص النجاح التي حظيت بها الصحوة الإسلامية المعاصرة ، ومن أبرزها

١- ظهور حركة الجهاد ، أو التمرد الفلسطينية التي قلبت المعايير والخطط رأساً على عقب .

٢- تحقيق انتصارات عسكرية في أفغانستان وظهور حركات جهادية مماثلة في أرتيريا وكشمير وغيرها .

٣- بروز جبهة الإنقاذ الإسلامية في الجزائر ، وتمكن الجبهة الإسلامية القومية في السودان ، وحصول الإسلاميين على نسبة من المقاعد في الأردن ،

وظهور مؤثرات مهمة في بلدان أخرى[1]

والغرب يحسب حساباته على المدى البعيد ، بل البعيد جداً ، وعليه نعود الآن للإجابة على السؤال المهم نفسه : ما وظيفة الجيوش الغربية في ظل الوفاق ؟ ولكن من وجهة النظر الأمريكية :

نشرت جريدة الحياة في ٢٦ / ١٢ / ١٤١٠ هـ أي قبل غزو الكويت بحوالي ١٧ يوماً فقط ، موضوعاً بالغ الأهمية بعنوان كبير هو « وظيفة جديدة للقواعد بعد تحول دورها من شرق أوربا إلى الشرق الأوسط ! » ومنه :

« وفي نظر جميع المراقبين والمحللين فإن منطقة الشرق الأوسط تأتي في مقدمة المناطق العالمية التي تزداد أهميتها وترتفع سخونتها وهي مرشحة إلى أن تكون منطقة اصطدام واحتكاك مع أمريكا .. » .

وعلى هذا تحولت القواعد الأمريكية في جزيرة (كريت) من موقع المراقبة والرصد لدول حلف وارسو سابقاً إلى مراقبة دول الشرق الأوسط ، وضفاف المتوسط الجنوبية التي تموج بمختلف التفاعلات والتطورات الحادة ، وتنذر باضطرابات وانفجارات عنيفة ، لذلك لم تتضاءل أبداً أهمية هذه القواعد ، بل ربما زادت بسبب القرب الجغرافي من الهدف الجديد وقلة القواعد الموجهة نحو الشرق الأوسط ، والخليج عموماً ، وشمال أفريقيا خصوصاً .. » .

ولما كان هذا الموضوع كتب تعليقاً على الاتفاقية الجديدة بين أمريكا

---

(١) هذا مع ملاحظة ما على بعض هذه الحركات من المآخذ ، ولكن ليس المقام مقام نقدها وإنما هو بيان خطرها بالنسبة للغرب .

واليونان بشأن قاعدة (كريت) ، تعرضت الجريدة للآراء المعارضة والمحللة فقالت :

(أما البيان الذى أصدره تحالف اليسار المعارض فقد قال : إن الاتفاقية الجديدة ستجعل من اليونان طرفاً مباشراً في المخططات الحربية الأمريكية ضد الدول العربية ، وحذر من ردود فعل الدول العربية على اليونان !!.) .

ووقف المحللون عند بند جديد يتضمن « السماح لأي طيران حربي آخر باستخدام القواعد بموافقة أمريكا فقط » ، وقالوا إن هذا إشارة إلى الطيران الإسرائيلي !!.

« ورأى المحللون العسكريون اليونانيون أيضاً .. أن الاتفاقية تعني حق أمريكا في استخدام (كريت) من قبل قوات التدخل السريع التي شكلت لحماية منابع النفط » اهـ .

كما نشرت مجلة الأمل في عدد ذي الحجة ١٤١٠ هـ مقالاً بعنوان : « إلى أين ستذهب الأسلحة التي كانت تصنع لحساب أوربا » وذكرت منها مثلاً ٩٣٠ دبابة من طراز (إم ٦٠) وقالت : « الإجابة السهلة في واشنطن حالياً هي أن ترسل هذه الأسلحة إلى العالم الثالث وبخاصة إلى الشرق الأوسط »

وفي هذا المسار نشرت مجلة البلاغ الإسلامية الكويتية في ١٦ ذي الحجة ١٤١٠ أي قبل الغزو بحوالي ٢٥ يوماً مقالاً مؤثراً بعنوان : (هل انتهت الحروب الصليبية ؟) قالت فيه : « اليوم تتوالى الأخبار التي يُخيل للسامع أنها ليست إلا بيانات عسكرية في معركة طاحنة تدور رحاها بصمت عجيب » .

وتعرضت فيه للفكرة التي طرحت في الغرب ونشرت عنها الفاينشنال تايمز وهي

« إقامة عمود دفاع أوربي » ضد العالم الإسلامي !!.

بل نشرت الصحافة الأمريكية أن دول البلقان مثل : اليونان وبلغاريا « قد تصبح دول مواجهة في أوربا ضد انتشار التطرف الإسلامي » .

وأنذرت صحافة أمريكا عدوها النووي « الاتحاد السوفيتي » باحتمال وقوع الأسلحة الذرية في الجمهوريات الإسلامية السوفيتية في أيدي متطرفين مسلمين ، وأن ذلك يعتبر تهديداً خاصاً للبشرية والعالم المتمدن .

وقالت : « إن المتطرف يأتي من الصحراء ، والمُبدع يأتي من الغابات ، وربما كان هذا هو الفارق الأكبر بين الشرق والغرب »

وقد علق المحامي الأمريكي[1] الذي أورد هذه النصوص بعنوان : « إعلام أمريكا وخطر المسلمين » قائلاً :

« بالترويج لخطر المسلمين – لا بالنسبة إلى الدول الغربية فحسب بل حتى إلى الاتحاد السوفيتي – يرى المرء تقارباً بين مصالح الأعداء القدامى الذين كانوا يشتبكون في الحرب الباردة ، ويحتمل أن تتردد القضية الجديدة عن الخطر الإسلامي على العالم المتمدن أكثر فأكثر في المستقبل » .

وفي الوقت نفسه جرى الإعلان أيضاً عن وظيفة جديدة للمخابرات الأمريكية في ظل الوفاق (وهي قديمة في الواقع) ، فقد أذاعت هيئة الإذاعة البريطانية في برنامج عالم الظهيرة في أواخر ذي القعدة الماضي ما نصه تقريباً :

« إن الجهد الرئيسي للمخابرات الأمريكية الذي كان منصبّاً لمراقبة امبراطورية الشر (يعني الاتحاد السوفيتي) سيتجه أساساً لمراقبة الجماعات الأصولية في العالم الإسلامي ، ووضع العقبات والعراقيل أمامها » .

وأذاعت تعليقاً لصحيفة الفاينانشيال تايمز قالت فيه :

---

(١) وهو (مايكل سابا) والمقالة في الحياة ١٠ شعبان ١٤١٠هـ .

« إذا كانت أمريكا تشجع الاتجاهات الديمقراطية في شرق أوربا ودول العالم الثالث ، فإنه يجب علينا ألا تشجع تلك الاتجاهات في العالم الإسلامي ، لأنها بذلك تدفع – دون أن تدري – بالأصوليين إلى تسلم زمام السلطة في ذلك العالم » !!.

وفي أثناء الإعلانات والشعارات المعسولة عن السلام العالمي القريب ، وحرية الشعوب في الحرية والاستقلال والديمقراطية .. إلخ .

فجَّر الرئيس ميتران قنبلة صليبية مذهلة حين قال :

« إذا نجح الأصوليون في حكم الجزائر فسوف أتدخل عسكرياً ، كما تدَّخل بوش في بنما »[1]

والواقع أن مثار الذهول ليس مجرد التهديد بالتدخل ، فقد تدخلت فرنسا فعلاً في دول كثيرة (منها : زائير ، ووسط أفريقية ، وساحل العاج ، وتشاد ، والجابون) ، ولكنه في الجرأة على إعلان بعض مخططات الغرب السرية ، وإشهار الحرب الصليبية الذي يزيد الصحوة الإسلامية اشتعالاً ، ومن هنا كان تراجع ميتران الحاد في موقفه ، إلا أن ذلك لم يمنعه من التصريح بأن « الانتفاضة الفلسطينية خطر يهدد المنطقة كلها بوباء التطرف »[2]

وفي هذا المسار تأتي تصريحات ميتران وغيره من المسؤولين الفرنسيين في معرض الدفاع عن الموقف الفرنسي المؤيد للعراق ، وهي تصريحات متكررة مضمونها :

« إننا كنا نساعده لأنه يحارب الأصولية الإسلامية التي تمثل تحدياً أكبر لمصالحنا » .

---

(١) وقد أحدث هذا الإعلان المكشوف ردة فعل قوية مما جعله يقول بعد إعلان نتائج الانتخابات : « إنني أقدِّر حرية الناخب الجزائري » .

(٢) انظر مجلة « التذكير » الجزائرية العدد ٥

وقد ورد عن مسؤولين أمريكيين قبل الأزمة الحالية قولهم : « إن أمريكا ترى في العراق عاملاً قوياً في صد التوسع الإسلامي في المنطقة » (إذاعة صوت أمريكا) .

وفي غمرة هذه الإعلانات والتصريحات التي اجتاحت الإعلام الغربي في الشهور الأخيرة ، جاء الحديث المكشوف للأمير (حسن) ولي عهد الأردن[1] لصحيفة نيويورك تايمز الذى قال فيه : « إنه ينبغي إجراء محادثات بين المعتدلين العرب والإسرائيليين لأن الخطر الحقيقي للسلام يكمن في تنامي الأصوليين »

وقال : « إن العدو الحقيقي هو تصاعد الأصولية والتطرف ، حيث المتطرفون اليهود من جهة ، والمد الإسلامي الذي يؤثر على السياسات الممتد من جنوب آسيا عبر أفغانستان ولبنان إلى شمال أفريقية » ، وقال : « يتصاعد نشاط المتطرفين في الانتفاضة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة »[2].

أصحاب الفضيلة :

لا نريد التطويل وإلا فالشواهد كثيرة جداً ، غير أنه لابد من التنويه بظاهرة جديدة في السياسة الغربية تدل على أن الغرب يعد العدة لأمر عظيم ، وهي استنفار كل ذوي الخبر السابقة في الميدان السياسي أو العسكري أو الفكري لإحكام خطة الوفاق ، ودراسة الاحتمالات بكل دقة ، وبذل الجهود في أكثر من سبيل للوصول إلى فرض السيطرة الغربية الكاملة على العالم الإسلامي ، واستئصال الصحوة الإسلامية ، أقول هذا عندما رأيت الحشد

---

(١) أعلن الأردن هذا الموقف عند رواج فكرة إنهاء حكم الملك حسين ، وجعل الأردن هي الوطن البديل للفلسطينيين ، كما سنعرض إن شاء الله

(٢) الحديث أذاعته إذاعتا صوت أمريكا ولندن ، كما نشرتها أكثر من صحيفة عربية وإسلامية ، منها : (الإصلاح) في عددها ١٤٦ ذى الحجة ١٤١٠ هـ .

الكبير من الساسة القدامى ، والجنرالات المتقاعدين ، والسفراء السابقين ، ورجال الاستخبارات ، وقادة الفكر ، وعلماء النفس والاجتماع ، إلخ ، كلهم يتحدثون عن مستقبل الغرب وصراعه مع الإسلام ، بل يقومون بجهود عملية مكشوفة لم يشهدها تاريخهم المعاصر من قبل .

ورغبة في الاختصار أضرب مثلاً فقط - بالرئيسين الأمريكيين السابقين ريتشارد نيكسون وجيمي كارتر ، وبنزر يسير فقط من جهودهما :-

١ - نيكسون :

له نشاط تنظيري استراتيجي بارز ، وخاصة فيما يتعلق بالوفاق ومستقبل أمريكا والغرب ، يدل على ذلك كتابه الضخم : « ١٩٩٩ نصر بلا حرب » وبحوثه الأخرى ، ومشاركته المباشرة كما حدث أثناء زيارة جورباتشوف لواشنطن . وهو مع تحذيره وتهويله من الاتحاد السوفيتي عامة ، وشخصية جورباتشوف خاصة[1] ، أطلق سنة ١٩٨٥ - أي سنة تولي جورباتشوف - صيحة صليبية نشرتها مجلة استراتيجية متخصصة هي مجلة الشؤون الخارجية قال فيها :

« يجب على روسيا وأمريكا أن تعقدا تعاوناً حاسماً لضرب الأصولية الإسلامية »[2]

وفي كتابه المذكور يؤكد نيكسون بكل صراحة وجرأة أن واجب الولايات المتحدة ورسالتها في الحياة هي زعامة العالم الحر الذى يجب بدوره أن يتزعم العالم ، وأن الوسيلة الوحيدة لهذه الزعامة هي : القوة ، وأن العدو

---

(١) انظر الكتاب المذكور ، فصل كيف نتفاوض مع موسكو .

(٢) انظر الحروب الصليبية ، أحمد شلبي ، وقد جعل هذه العبارة تصديراً للكتاب .

الأكبر في العالم الثالث هو الأصولية الإسلامية ويؤكد ذلك قائلاً
« إن مأساة فيتنام قد جرحت كبرياء أمريكا ، ولم يكن ذلك راجعاً إلى أننا ذهبنا إلى هناك بل أننا خسرنا »

ويؤكد : « لكن الكبرياء القومي الذي لا يتصلب من خلال المعارك ، كبرياء عقيم إن الكبرياء الحقيقي لا يأتي من تفادي النزاع ، بل من أن نكون في معمعته نحارب من أجل مبادئنا ومصالحنا وأصدقائنا ومن أجل بناء ثقة جديدة ودائمة في الولايات المتحدة الأمريكية ، بين الأمريكيين أنفسهم ، وبين أصدقائنا وحلفائنا في الخارج ، فإن الأمر يقتضي ما هو أكثر من القيام بعدد غير قليل من المهام العسكرية الناجحة ، وإن كانت صغيرة مثل غزو (جرينادا) وشن الغارات على ليبيا »[1]

ويسخر نيكسون من دعاة السلام قائلاً :

« يؤمن كثير من هؤلاء الذين يندفعون في الشوارع رافعين اللافتات الداعية إلى السلام ونزع السلاح الشامل ، بأن الحل الوحيد لتجنب خطر الحرب هو إقامة نظام عالمي ترعاه منظمة دولية . لقد دحض القرن العشرون كثيراً من الأساطير ، لكن ليس هناك أشد تدميراً من الفكرة القائمة على التمني ؛ القائلة بأن المنظمات الدولية يمكن أن تحقق السلام الكامل » ص ٣٠.

« ففي عالم الواقع يتوافر لأمة بالغة الصغر لديها ست دبابات ، أو ستة إرهابيين ، وضعفاء ، لديهم قنبلة صغيرة ؛ قدر من القوة الحقيقية يزيد عما للجمعية العامة للأمم المتحدة مجتمعة بكل أبهتها الرفيعة في (إيست ريفر) . إن القوة هي التي تدفع العالم صوب الخير أو الشر ، ولن تتخلى أية أمة ذات سيادة عن أي من سلطاتها وقوتها للأمم المتحدة أو أي هيئة

---

(١) ص ٢٩ والكتاب ألف في سنة ١٩٨٨ قبل غزو بنما أيضاً

أخرى ، لا الآن ولا في أي وقت .. وكلما سارعنا لمواجهة هذه الحقيقة وسارعت شعوب الأمم العظمى خاصة في الغرب بالكف عن الإحساس بالذنب لأنهم أقوياء ؛ سارعنا بإقامة نظام دولي حقيقي ..) ص ٣١

ويقول عن منطقة الخليج :

« إن الولايات المتحدة هي الآن الدولة الوحيدة التي يمكنها حماية المصالح الغربية في الخليج الفارسي . وليس هناك أي دولة من دول الخليج الموالية للغرب قوية بالقدر الكافي للقيام بذلك ، كما لا تتوافر لأي من حلفائنا الأوربيين القوة أو الرغبة في أن يقوم بذلك .. »

« وينبغي لنا أن نعمل على الجبهة العسكرية لتحسين قدرتنا على إبراز القوة الأمريكية في الخليج وقد حققنا تقدماً هاماً في هذا المجال . فقد أنشأ الرئيس كارتر قوة الانتشار السريع . وعزز الرئيس ريجان وضعها بتحويلها إلى قيادة مركزية . واعتمد الكونجرس مليارات الدولارات لقواتها »

وبعد أن بيّن أن الهدف هو : « أن تكون قادرة على دفع أربع فرق من قواتنا في الخليج خلال ثلاثين يوماً » قال :

« إننا لا نستطيع أن ندافع عن مصالحنا في الخليج – أو نرد أي تحرك سوفيتي ضدها – إذا لم نستطع إرسال قواتنا إلى هناك » .

« وينبغي لنا أيضاً أن نعمل على الجبهة الدبلوماسية لتشكيل روابط أوثق مع بلدان المنطقة[1] !! ويستحيل على الولايات المتحدة أن تتدخل في الخليج الفارسي دون أن تتوافر لها إمكانية الحصول على قواعد جوية في المملكة العربية السعودية ودول الخليج الأخرى الأصغر إننا في حاجة إلى وضع

---

(١) وضع نيكسون سبعة إرشادات ، وأربعة شروط للتعامل مع الدول الحليفة ، وهي مهمة ، ص ١٣٦ - ١٤٠ ، ناقش خلالها مسألة الديمقراطية وحقوق الإنسان بحيث ودها.

قوات جوية في قواعد هناك حتى يمكن أن نحمي قواتنا البرية عند قيامها بإنشاء رأس جسر وبدون تفوق جوي ستصبح أي عملية إنزال أمريكية في الخليج الفارسي تكراراً لعملية الإنزال البريطانية في (غاليبولي) أثناء الحرب العالمية الأولى »

« فبالنسبة لأصدقائنا في المنطقة تعتبر إيران تحت حكم الخوميني تهديداً يفوق في خطورته حتى الاتحاد السوفيتي . لذلك يجب أن نؤكد لهم أن عملية إيران الفاشلة كانت انحرافاً لن يتكرر » (يعني عملية استنقاذ الرهائن) وينتقد بشدة : « المفهوم الذي شجعه المرشحون الليبراليون للرئاسة عام ١٩٨٤ ، وهم يعلنون بعدم إرسال قوات أمريكية للقتال في الخليج الفارسي إن أي شخص يصدر عنه هذا النوع من التعهد بعدم اللجوء للقوة في عام ١٩٨٨ سوف يفقد صلاحيته لأن يكون محل تفكير كزعيم مسؤول للولايات المتحدة وللعالم الحر » ص ١٣٢ - ١٣٣

هذا الكلام يوجهه نيكسون إلى المتنافسين على الرئاسة الأمريكية قبل ثلاث سنوات ، ومعلوم أن الذي فاز فيها هو جورج بوش المعروف بانتمائه لخط نيكسون كما في التعريف بالكتاب على الغلاف الأخير له[1]

وعن إسرائيل والصحوة الإسلامية يقول نيكسون :

« وفي الشرق الأوسط نرى صراع العرب ضد اليهود يتطور إلى نزاع بين الأصوليين الإسلاميين من جانب ، (**وإسرائيل والدول العربية المعتدلة من جانب آخر**) .

وما لم تتغلب هذه الأمم على خلافاتها وتعترف بأنها تواجه تهديداً أشد

---

(١) وكما يظهر من كتاب جورج بوش : « التطلع إلى الأمام » الذي لخص فيه سياسته بقوله : « المحافظة على مصالح أمريكا بواسطة : « السلام عن طريق القوة » وبعبارة كيندي : « أن نكون أقوياء بحيث أننا لن نتفاوض من الخوف بل لن نخاف من التفاوض » ص ٢٦٨ ترجمة جورج خوري .

خطراً بكثير من طهران ، فربما سيظل الشرق الأوسط هو المنطقة الأكثر احتمالاً للانفجار في العالم كله ... » ص ٢٨٤ أي كما قال ولي عهد الأردن .

ويقول « لقد أمرت في حرب ١٩٧٣ ببدء جسر جوي ضخم للمعدات والمواد التي مكنت إسرائيل من وقف تقدم سوريا ومصر على جبهتين ، وكتبت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل في مذكراتها خلال حرب يوم كيبور (الغفران) تقول « لقد كان الجسر أمر له قيمة لا تقدر فهو لم يرفع معنوياتنا فحسب بل أفاد أيضاً في جعل موقف أمريكا واضحاً بالنسبة للاتحاد السوفيتي ، وساعد بلا شك في جعل انتصارنا أمراً ممكناً »

« إن التزامنا ببقاء إسرائيل التزام عميق ، فنحن لسنا حلفاء رسميين ، وإنما يربطنا معاً شيء أقوى من أي قصاصة ورق : إنه التزام معنوي إنه التزام لم يخل به أي رئيس في الماضي أبداً ، وسيفي به كل رئيس في المستقبل بإخلاص .

وصدق الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ﴾ .

« إن أمريكا لن تسمح أبداً لأعداء إسرائيل الذين أقسموا على النيل منها بتحقيق هدفهم في تدميرها » ص ٢٩١

ويتابع نيكسون مفاخراً بإسرائيل كأشد يهودي في العالم تعصباً —

« لقد بهرت إسرائيل العالم كله بكل ما أنجزته خلال أربعين عاماً من الحرب ، وستدهش العالم بما تستطيع أن تنجزه في أربعين سنة من السلام » ص ٢٩٢

« وينبغي أن نوجه لأنفسنا بعض الأسئلة عن بعض القضايا الأساسية :

كم تستطيع الحكومتان المعتدلتان في الأردن ومصر أن تبقيا صامدتين في مواجهة التهديد المزدوج للنزعة الجذرية ، والنزعة الأصولية ؟ في غياب حدوث تقدم في مسيرة السلام ؟ كم ستظل هاتان الحكومتان راغبتين في انتهاج

سياساتهما الحالية الموالية للغرب ؟ »

« ينبغي لإسرائيل أن تعترف بأن مصلحتها هي نفسها تقتضي أن تقيم الولايات المتحدة علاقات وثيقة مع الدول العربية المعتدلة ، وأن هذه الدول ستظل شريكاً مستقراً في السلام »

« لذا ينبغي للولايات المتحدة أن تتبنى سياسة أكثر واقعية في الشرق الأوسط ينبغي لها أن تسعى لإقامة علاقات طيبة مع الدول العربية المعتدلة ، خاصة الأردن ومصر والمملكة العربية السعودية . كما ينبغي لها أن تضغط بنشاط لدفع مسيرة السلام للأمام ... »

« إن سياساتنا ينبغي أن تهتدي بملاحظة أبداها دافيد بن جوريون . فقد قال :

« إن المتطرفين الذين نادوا بالاستحواذ على الأرض العربية سيحرمون إسرائيل من رسالتها » « ولو نجحوا فلن تكون إسرائيل يهودية ولا ديمقراطية فالعرب سيفوقوننا عدداً ، وسيقتضي الأمر اتخاذ إجراءات قمعية غير ديمقراطية للإبقاء عليهم تحت السيطرة » . « وإن مصلحة إسرائيل تتطلب تسوية سلمية لقضية الأرض المحتلة في ١٩٦٧ » .

« فلو ضمت إسرائيل هذه الأرض فستصبح دولة لحامية عسكرية مكونة من قوميتين يشكل فيها العرب المحرومون من حقوقهم نحو نصف سكانها . وبالإضافة إلى ذلك ففي ضوء معدلات المواليد المرتفعة للشعب الفلسطيني سرعان ما سيصبح الشعب اليهودي أقلية في الدولة اليهودية . ولو استمرت إسرائيل في احتلالها العسكري ، واستيطانها التدريجي لهذه الأراضي ، فإنها ستوحد العالم العربي في النهاية في العداء لها ، وتزيد فرص موسكو في دخول المنطقة أكثر من أي وقت مضى .. » .

« إن من يبتعدون عن الخط المتشدد من بين أكثر مؤيدي إسرائيل

تطرفاً لا ينبغي أن نصفهم بأنهم معادون لإسرائيل بصورة تلقائية . لقد حدث هذا بالنسبة لي ولأصدقاء آخرين لإسرائيل عندما أيدنا قيام إدارة ريجان بيع طائرات الأواكس للمملكة العربية السعودية في ١٩٨١ ، وخططها لتوريد طائرات مقاتلة للأردن في ١٩٨٦ . ينبغي للجميع أن يدركوا أن كون المرء صديقاً لجيران إسرائيل لا يجعل منه عدواً لها . ذلك أن مصلحة أمريكا وإسرائيل تقتضي أن ترتبط الولايات المتحدة بعلاقات الصداقة مع الدول العربية المعتدلة .. » ص ٢٩٤

« وفي العالم الإسلامي من المغرب إلى إندونيسيا تخلف الأصولية الإسلامية محل الشيوعية باعتبارها الأداة الأساسية للتغيير العنيف » ص ٣٠٧

ويؤكد أن : « الرؤيا الثورية التي يقدمها الراديكاليون على أطراف العالم الإسلامي جذابة مثل الشيوعية تماماً ، ومدمرة مثلها أيضاً . إن الثورة الشيوعية تضرب على أوتار احتياجات الإنسان المادية ، والثورة الإسلامية تضرب على أوتار الاحتياجات الروحية . فالأيديولوجية الشيوعية تَعِدُ بالتحديث السريع ، والأيديولوجية الثورية الإسلامية هي رد فعل ضد التحديث . والشيوعية تعد بتدوير ساعة التاريخ للأمام ، والأصولية الإسلامية تعيدها للوراء . إن الثوريين الإسلاميين يدينون إلحاد الشرق الشيوعي والعلمانية المادية للغرب الرأسمالي .. »

« إن الثوريين الشيوعيين والإسلاميين أعداء أيديولوجيين يتبنون هدفاً مشتركاً الرغبة في الحصول على السلطة بأي وسيلة ضرورية بغية فرض سيطرة ديكتاتورية تقوم على مُثُلهم التي لا تُحتمل ، ولن تحقق أي من الثورتين حياة أفضل للشعوب في العالم الثالث بل سيجعلون الأمور أسوأ لكن إحداهما أو الأخرى ستسود ما لم يضع الغرب سياسة موحدة لمواجهة

الأبعاد الاقتصادية والروحية على حد سواء للصراع الدائر الآن في العالم الثالث

إن رياح التغيير في العالم الثالث تكتسب قوة العاصفة . ونحن لا نستطيع إيقافها ، لكننا نستطيع أن نساعد في تغيير اتجاهها .. » ص ٣٠٧

ويتحول نيكسون في نهاية الكتاب وفي نهاية عمره من ذلك السياسي الانتهازي إلى قسيس متعصب فيقول :

« لقد نهض بتأسيس أمريكا أفراد كانوا ينشدون الحرية الدينية ، وأرادوا أن يكون لهم حق عبادة الله بطريقتهم الخاصة ، وأن يبحثوا عن معنى للحياة حسب شروطهم الخاصة . وعلينا ألا نغفل عن هذا المبدأ الموحي من مبادىء بلادنا وعلينا ألا نسمح لمنافستنا مع موسكو بأن تنحدر فتصبح سباقاً بين الطرفين على أيهما يستطيع إنتاج أكبر عدد من القنابل ، وأطول العمارات ، وأعدل معدل للدخل الفردي من الناتج القومي الإجمالي . فإن كانت الثروة المادية هي هدفنا الوحيد لم نختلف في شيء عن الشيوعيين .. » .

« والشيوعيون ينكرون وجود الله ، ولكن ليس هناك من ينكر أن الشيوعية عقيدة . وفي اعتقادنا أنها عقيدة زائفة ، ولكن الرد على العقيدة الزائفة لا يمكن أبداً أن يكمن في إنكار العقيدة . وعندما كانت أمريكا ضعيفة وفقيرة منذ مائتي سنة مضت ، كانت عقيدتنا هي المبقية علينا . وعلينا ونحن ندخل قرننا الثالث ، ونستقبل الألف سنة المقبلة أن نعيد اكتشاف عقيدتنا ونبث فيها الحيوية .. » ص ٣٣٢

« الحياة التي تقتصر على طائفة من المقتنيات المادية » هي حياة تعاني من الخواء . فلنذكر حكمة الإنجيل القائلة : « ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان » ص ٣٣٣

٢ - جيمي كارتر

من المعلوم عن كارتر تدينه ، بل تعصبه لمذهبه الكنسي ، وهذا ما ظهر عليه أثناء رئاسته ثم تحول بعدها إلى داعية دؤوب يتنقل بين أفغانستان وأثيوبيا وإسرائيل وسوريا ، مروراً بالسعودية وغيرها من دول الخليج ، حاملاً معه مشروعات كثيرة لوأد الجهاد الإسلامي والصحوة الإسلامية ، وقد أفاد الرئيس بوش من خبرته ووظفها لصالح الوفاق الدولي ، كما أفادت منه القوى اليهودية في أوربا الشرقية والاتحاد السوفيتي فضلاً عن إسرائيل ، والمهمة التي يقوم بها كارتر من نوع خاص تتناسب مع اهتماماته الشخصية والتزامه الديني ، ومضمونها استقطاب المعتدلين من الإسلاميين والإسرائيليين ، وإيجاد تحالف سوري إسرائيلي تنضم له الدول العربية المعتدلة « كما تسمى » ، وضرب المتطرفين من الإسلاميين[1] بالمعتدلين ، مع إقناع أو تحجيم المتطرفين من اليهود

نشرت جريدة الأنباء الكويتية قبل أقل من شهر من غزو الكويت مقالاً بعنوان : « بعد التغييرات في أوربا الشرقية وموسكو هل يستمر دور إسرائيل كحليف استراتيجي لواشنطن ؟ »

وهو مترجم عن مقال لأحد الكتاب الإسرائيليين المتخصصين في الشؤون العربية أبرز فيه جانباً من مهمة كارتر وهذه مقتطفات منه :

---

(١) من مجموع ما اطلعت عليه : يطلق الغربيون صفة المتطرف على هذه الفئات : « سياف وحكمت يار : أفغانستان ، سلامات هاشم : الفلبين ، حركة الجهاد الإرتيري ، جبهة الإنقاذ في الجزائر ، منظمات الجهاد في مصر وفلسطين وغيرها ، وفي السعودية يسمونهم « المطاوعة » أو « البوليس الديني » ويقصدون به الهيئة ، وهم عموماً يصنفون علماء السعودية والمتدينون فيها كلهم في صف المتطرفين . ويسمون المتحرفين فيها « المتحررين » أو « المتنورين » !!

« إن إسرائيل القوية التي يقدم إليها الأمريكيون المساعدات ، هي نفس إسرائيل التي تضع العراقيل أمام استراتيجيتهم الشرق أوسطية ، وبالتالي فإن من المتوقع أن تسهم في إفشال الإجراءات الأمريكية المعقدة داخل العالم الإسلامي ، والرامية إلى تهدئة الحماس الديني اللاهب » .

« والتهديد الوحيد الآن فى أعقاب التراجع السوفيتي في الشرق الأوسط على المصالح الأمريكية هو الإسلام المتطرف ولا يقتصر التهديد الإسلامي على المصالح الأمريكية فقط ، بل يتجاوزها إلى تهديد الأنظمة العربية أيضاً ، والولايات المتحدة لن تسمح بنشر ثورة إسلامية جديدة في أية دولة عربية من الدول ذات الأهمية الكبيرة » .

« والأمريكيون يعتبرون الانتفاضة بمثابة خطر يهدد المنطقة العربية بأسرها ، وخصوصاً من حيث الطابع الإسلامي المشارك فيها بشكل واسع ، وعلى أرضية تراجع المد الشيوعي » .

وبعد أن ذكر أن التصلب الإسرائيلي يفسد الخطة الأمريكية لاحتواء المعتدلين ، وضرب المتطرفين قال

« لقد بدأت مفاوضات في عمان بين منظمة التحرير والإخوان المسلمين بتشجيع المعتدلين حول انضمام حركة حماس إلى المجلس الوطني الفلسطيني ، مع الموافقة على برنامج المنظمة السياسي الذي يربط جميع الحلول السياسية بالاعتراف بإسرائيل . ورغم الستار الكثيف المسدل حول تلك الاتصالات ، إلا أنه اتضح أن الشروط التي تطالب بها حماس ليست سهلة ، فهي ترفض برنامج المنظمة السياسي ، وفي نفس الوقت تطالب بتمثيل في مؤسسات المنظمة بنسبة ٤٠ ٪ » .

ويضرب الكاتب أمثلة لبعض الشخصيات المعتدلة ، كما أن صورة مقابلة بعضهم لكارتر منشورة في نفس الصحيفة ، ثم يقول :

« وقد شاءت سخرية الأقدار (كذا) أن يكون الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر هو أول من يؤيد مطالب حماس خلال الجولة الأخيرة التي قام بها في الشرق الأوسط ، فقد نشرت صحيفة المحرر الباريسية مقاطع من الحوار الذي أجراه كارتر مع الرئيس السوري حافظ الأسد حين سأله الأسد عن موقف الولايات المتحدة فيما يتعلق بالحركات الإسلامية فرد كارتر

« واشنطن تأمل أن تحظى الحركات الإسلامية والإخوان المسلمين على نصف الأصوات خلال الانتخابات التي ستجري في المناطق المحتلة » .

ويعلل كارتر ذلك بأنه سيدفع مسيرة السلام مع إسرائيل ، ويعلق الصحفي ذاكراً الفروق بين منظمتي حماس والجهاد ، بالنسبة للغرب وإسرائيل ، ثم يقول

« ومنظمة التحرير لن تقبل بأي حال من الأحوال مطلب حماس بمنحها ٤٠ ٪ من المقاعد في مؤسساتها ، كما أن إعلان كارتر بأن الولايات المتحدة تؤيد مطلب حماس سيثير الكثير من الخواطر وردود الفعل الشديدة في أوساط المنظمة ، غير أن الحقيقة التي لا جدال فيها هي أن هناك تقارباً فعلياً بين الإخوان المسلمين والولايات المتحدة وحماس لا تحرص على إخفائه . كما أن تجديد العلاقة بين دول عربية والاتحاد السوفيتي[1] حينما سيحدث يمكنه أن يُحدث تحولاً دارماتيكياً في العلاقات بين الفلسطينيين الوطنيين العلمانيين وبين الإخوان المسلمين » .

---

(١) معلوم أنه بعد الأزمة ومشاركة القوات السوفيتية للحشود الغربية ، أعادت العلاقات مع السعودية وتبعتها باقي الدول الخليجية التي لم يكن لها علاقة بموسكو . ونحن لا نوافق الكاتب على كل آرائه ، ولكن منها ما هو جدير بالاهتمام والغرض هو بيان كارتر .

« ويمكننا القول أن الأمريكيين يرمون في خطواتهم إلى تغيير الوضع الراهن في المناطق المحتلة ودفعه باتجاه تهدئة الانتفاضة ، ويعتبرون هذا التغيير بمثابة أساس مركزي في استراتيجيتهم الهادفة لتقليص الحماس الثوري الإسلامي »

وقد نشرت جريدة (الحياة) بتاريخ السبت ٢٠ / ٨ / ١٤١٠ هـ على لسان كارتر عقب زيارته لسورية :

« لقد اتفقت مع حافظ الأسد – يعني أيام رئاسته – على إعطائه الجولان ، وأنه لاحقَّ ، لإسرائيل فيها ، ولكن بشرط أن تكون منزوعة السلاح وأن يعيش البلدان في سلام دائم ، وآن الأوان لأفي بوعدي »

وتتضمن خطة كارتر الاعتراف لإسرائيل بجنوب لبنان ، وإنهاء مشكلة الضفة الغربية بإيجاد حكومة تحالف فلسطينية من المنظمة وحماس ، تعترف بإسرائيل ، ويعترف بها الغرب ، واستبعاد منظمة الجهاد ، لتطرفها وقيام تحالف استراتيجي بين سورية وإسرائيل تمهيداً لقيام دولتي إسرائيل الكبرى ، وسورية الكبرى على أنقاض العراق والأردن ولبنان .

وترى بعض الأوساط بعد أزمة الخليج أنه يمكن بقاء العراق على أساس شروط قاسية ، وتكون التركيبة هكذا :

١ – لبنان دولة مستقلة ترتبط بعلاقات مميزة مع سورية .
٢ – فلسطين دولة مستقلة ترتبط بعلاقات مميزة مع إسرائيل .
٣ – الكويت دولة مستقلة ترتبط بعلاقات مميزة مع العراق[1]

أي وضع كيانات صغرى تحت كيانات كبرى تكون هي الأخرى ضمن منظومة الحلف الدولي الذي تتزعمه أمريكا .

وبالنسبة للاتحاد السوفيتي نجد أنه اتجه مع المسار نفسه ولكن من زاوية

---

(١) انظر الوطن العربي عدد ١٨٨ – ٧١٤ ص ٢٠

أخرى ففي عهد إعادة البناء ، وعلى يد جورباتشوف حصلت إسرائيل على « أكبر صفقة بشرية في التاريخ » إنهم مليون يهودي جرى ترحليهم من الاتحاد السوفيتي لا إلى حيث يريدون ، بل إلى إسرائيل بالذات ، منهم على أقل تقدير مائة ألف ، إمّا مجندون أو جاهزون للتجنيد ، وقد عادت العلاقات بين إسرائيل وأوربا الشرقية ، ونشرت جريدة اللوموند على لسان بعض الإسرائيليين البارزين :

« إن عودة العلاقات بين إسرائيل ودول أوربا الشرقية هو بمثابة العودة إلى قطاع من العالم تربطه بإسرائيل منذ وقت طويل روابط عاطفية وثقافية ، بل وروحية قوية ومتعددة »

وذكر أن : « أوربا التي تضرب في أعماقها جذور الشعب اليهودي هي أوربا الشرقية لا الغربية » !! وليس سراً أن نقول أنه بعد التغييرات في أوربا الشرقية حصل اليهود على مناصب عليا في دولها أكثر مما كانوا عليه أيام الحزب الواحد

وبعد أزمة الخليج اجتمع قطبا الوفاق فيما سمي « قمة هلسنكي » وتناقلت كافة الوسائل الإعلامية أنباء عن قيام حلف دولي جديد تشترك فيه دول المنطقة ، وقد علق جورباتشوف قائلاً :

« إن أزمة الخليج هي اختبار لقدرة النظام العالمي الجديد على حل مشاكل العالم ، وأكد أن هذا العالم يدخل مرحلة جديدة لما بعد الحرب الباردة ، وأضاف أنه لولا مالطا ، ولولا واشنطن (يقصد زيارته الأخيرة لأمريكا) وكامب ديفيد ، لكنا الآن في وضع صعب ونحن نواجه أزمة الخليج ، وحقيقة كوننا اتخذنا موقفاً مشتركاً ، يعني أننا نسير في الطريق الصحيح »

ومن جهته أكد بوش تماسك الوفاق الدولي ، وأن موقف صدام

« لن يجعلنا ننقسم على أنفسنا »[1] على حد تعبيره . وهنا نورد ما جاء في مقابلة مع الأمير سعود الفيصل عما تؤمله المملكة من قمة هلسنكي حيث قال :

« إن تنفيذ قرارات مجلس الأمن هي السبيل الأضمن لنزع فتيل الانفجار عن المنطقة وتجنيبها مضاعفات حرب مدمرة ، وإن المملكة العربية السعودية التي ربطتها وشائج عميقة بالعراق على مستوى القيادة والدولة والشعب ، وشاركته السراء والضراء طيلة ثماني سنوات حريصة كل الحرص على أن لا يمس العراق الشقيق أي ضرر » .

وعن سؤاله عن فكرة الحلف العربي والدولي قال :

« إن المسؤولين في أمريكا نفوا ذلك ، لكن ما حصل من أحداث يجعل التفكير في نظام للأمن الدولي – حاضراً ومستقبلاً – مسألة حيوية ، ويجب أن يرتكز هذا المنظور على فكر دول المنطقة نفسها خاصة ، وأن مسألة الأمن القومي نوقشت في قمة بغداد ، والمفترض الآن أن يوفر العرب لأنفسهم في إطار جامعة الدول العربية الأسس والقواعد الكفيلة لقيام هذا النظام »[2]

وعن الوفاق وقمة هلسنكي نشرت جريدة الحياة بتاريخ السبت ٣ ربيع الأول ١٤١١ ، كتب صلاح الدين حافظ نائب رئيس تحرير الأهرام الدولي مقالاً مهماً بعنوان « هل تمت الصفقة الكبرى في هلسنكي ؟ » وكان مما قال :

---

(١) التعليقات عن جريدة (الحياة) الإثنين ١٠ سبتمبر ، وقد نشرتها كل وسائل الإعلام تقريباً

(٢) انظر الصحف بتاريخ ٢١ / ٢ / ١٤١١ هـ .

« وأخيراً انفجرت أو « فُجِّرت » أزمة الخليج بالطريقة المرسومة أو طبقاً لـ « السيناريو » البارع الذي جرى إعداده وتجهيزه من قبل ..

ما الجديد إذن في الصفقة ؟ وما هي تأثيراتها على العرب عموماً والخليج خصوصاً ؟

بداية نقول - من باب التسجيل والتذكير - إن يد أمريكا في معظم أرجاء الوطن العربي كانت مطلقة منذ سنوات ، تعود بدايتها إلى عام ١٩٤٧ الجديد أن أمريكا لم تعد تخشى رد الفعل السوفيتي العنيف - سياسياً وعسكرياً - كما كانت تخشاه قبل عشر سنوات ، إذا ما تحركت عسكرياً .. » ..

« الجديد أن الاتحاد السوفيتي لم يعد يلعب دوراً منافساً أو مناهضاً للنفوذ الأمريكي والغربي في المنطقة العربية ، ولم يعد يخشى وجوداً عسكرياً أمريكياً وغربياً كثيفاً في المنطقة ، كالحشد الهائل للأرمادا[1] الموجودة الآن ... الآن تتحدث واشنطن علناً وبأشد درجات الصراحة والوضوح عن خطتها لإقامة ترتيبات أمنية في المنطقة ترقى إلى درجة « الحلف » على نموذج حلف الأطلسي - كما قال كلٌّ من بيكر وتشيني وزيري الخارجية والدفاع الأمريكيين في الأسبوع الماضي - بحجة ضمان الأمن والاستقرار في المنطقة وحتى لا يتكرر غزو جديد كغزو العراق للكويت ، ومع ذلك ، وعلى الرغم من صراحة كلماته المعبرة عن وضوح الخطط الأمريكية وأهدافها ، لم ينفعل الاتحاد السوفيتي أو يرتعد ، ولم يرفض العرب أو حتى يتململوا ... إذن تغير كل الأشياء !! وكان مفتاح التغيير في يد الرئيس العراقي صدام حسين الذي أقدم على فتح الباب واسعاً أمام رياح التغيير الطارئة .

فهل كان صدام حسين بقراره الطائش باغتيال الكويت واحتلالها ودمجها تحت الدعاوى التاريخية ، مدركاً لكل ذلك ، ضالعاً في سيناريو

---

(١) القوات

المتغيرات ، مشاركاً في اللعبة ، أم كان ضحية السذاجة السياسية والتفكير البدائيّ الذي يتحكم في معظم سياسيّ المنطقة ، ويوجه قراراتهم ويتحكم في أمزجتهم المتقلبة ؟! .

قد يبدو التساؤل ساذجاً لكن المؤكد أن تفجير الصراع في الخليج منذ الثاني من آب (أغسطس) الماضي لم يكن اعتباطاً ، ولا رمية طائشة في بحر ساكن ، الأرجح عندي أن اللعبة متكاملة القواعد والأهداف ، ومحددة الأساليب والوسائل ، سواء كان صدام حسين ضالعاً متواطئاً ، أو كان ساذجاً مخدوعاً ، فهو في الحالتين قام بالدور وأدى المهمة ، وفتح الباب أمام الأرمادا التي لم تأت بهذه الكثافة إلى المنطقة إلا لتبقى طويلاً طويلاً طويلاً (هكذا كررها الكاتب ثلاثاً) .

ستبقى طويلاً سواء اشتعلت الحرب أو لم تشتعل ، سُوِّيَت الأزمة سلمياً اليوم أو طال بها الزمن - كغيرها - ودخلت في مراحل البيات الشتوي ، ستبقى لأن إعادة ترتيب المنطقة في المقياس الأمريكي تحتاج إلى إعداد طويل وجهد مكثف وإقناع صعب ومن لم يقتنع طوعاً ، يقتنع بالضغط والتأديب ، ساعةَ تحتاج المسألة إلى قمع وتأدب .

سواءاً ارتكب الجميع حماقة الحرب أو استسلموا لإغراء تجميد الموقف على حاله ، فإن الأزمة التي فجرها غزو العراق للكويت ستطول لأنها أزمة تحوُّل استراتيجي عالمي ، وليست مجرد أزمة عسكرية عاجلة ، أو مؤقتة بين طرفين محددين ، ولأنها وقعت في منطقة لها أهميتها الجيوبوليتيكية التي لا تخفى على أحد ، إلا على أصحابها النائمين في بحور العسل ، عفواً في بحور الوهم .. » .

ونختم موضوع الوفاق ببيان الموقف الأوربي من الحلف ، أو النظام الدولي الجديد فنقول :

لقد حرصت الولايات المتحدة الأمريكية على تطويق الاتحاد السوفيتي

والعالم الإسلامي بسلسلة من الأحلاف العسكرية والسياسية ، منها حلف (الناتو) الذي يشمل أوربا الغربية ، وحلف (السنتو) الذي يشمل دول الشرق الأوسط عقب إلغاء حلف بغداد ، وحلف (السياتو) الذي يشمل دول جنوب شرق أسيا ، وحلف (الريو) الذي يشمل دول أمريكا اللاتينية ، والهدف الأمريكي الآن - بعد انهيار حلف (وارسو) - هو دمج هذه الأحلاف وزيادة ، ضمن منظومة واحدة تتقنع بستار الأمم المتحدة وتتحكم فيها أمريكا وفق النظام الجديد ، وأهم طرف في هذا النظام هو حلف (الناتو) بطبيعة الحال .

فما موقف الحلف وأوربا خاصة من الخطط الأمريكية التي عرضناها ؟ يمكن الإجابة باختصار شديد ، بأن الدول الأوربية ومن خلال التوجيه الأمريكي قد سلكت الخطوات نفسها ؛ فقد قررت أوربا الغربية عقب حظر النفط المذكور وبالتحديد في اجتماع أركان دول الحلف في مطلع عام ١٩٨٠ :

« إن الخطر الأساسي على الغرب لا يقع في أوربا ، بل في المناطق النفطية الحيوية وخطوط المواصلات إليها » .

وجاء على لسان وزير الدفاع البريطاني :

« إن منطقة الخليج هي من أهم مناطق العالم ، وهدفنا الأساسي يجب أن يكون إعادة الاستقرار إليها » . (الوجود العسكري الغربي في الشرق الأوسط ص ١٢)[١]

وقامت دول أوربا بتشكيل قوات تدخل سريع على غرار القوات الأمريكية ، بل إن فرنسا قد شكلتها عام ١٩٧٧ أما بريطانيا فقد احتفظت بلواء « جرذان الصحراء » منذ الحرب العالمية الثانية .

---

(١) ترجمة حسين أغا وزميله ط ١ بيروت ١٩٨٢

وقد قامت داخل الحلف دعوات مختلفة إلى توسيع رقعة الحلف ليشمل المنطقة العربية ، ومن أبرز هذه الدعوات فكرة إيجاد قوات تدخل غربية مشتركة تنفصل قيادياً عن (الناتو) ، وتشتمل على عناصر غير أوربية من اليابان واستراليا وغيرهما ؛ وذلك تفادياً للإشكالات الدستورية داخل الحلف ص ٢٢ وكان ذلك سنة ١٩٨٠ ، وبعد الأزمة وفي شهر صفر ١٤١١ اجتمع المجلس الأوربي في بروكسل وقرر إقامة نظام أمني يشمل الرقعة الممتدة من إيران حتى موريتانيا !!

وإجمالاً تتفق كل المصادر على أن القوات الأوربية تقوم بدور المساندة للقوات الأمريكية ، وأن مغزاها السياسي هو الأهم ، وبعد أزمة الخليج تم تجاوز العقبات الدستورية حتى أن ألمانيا عدلت دستورها للسماح بالمشاركة في القوة الدولية ، وبالفعل وصل إلى المملكة وبقية دول الخليج حتى الآن ما يزيد على ٥٠ ألف جندى أوربي !

وقد صرح وزير الدفاع الأمريكي في ٣٠ / ٢ / ١٤١١ أن الولايات المتحدة قد أغلقت ١٥٠ قاعدة في أوربا نهائياً ، ونقلتها إلى الخليج !! بعد أن ظلت هناك ٤٥ سنة !![1]

وعندما سئل عن مدة بقاء القوات في السعودية قال : « لسنا على استعداد أن نأتي كل عشر سنوات لحل مشكلات المنطقة ؟ » وأضاف أن ذلك مرهون باستقرار المنطقة !

كما أطلق بيكر وزير الخارجية تصريحات مماثلة ، منها ما نشر في جريدة

(١) وفي يوم السبت ٥ / ٢ / ١٤١١ ذكرت إذاعة لندن عن إحدى الصحف البريطانية المعارضة قولها : « من المحتمل أن تتحول الأزمة في الخليج إلى حرب مسيحية إسلامية ويكشف القناع عن نفاق الغرب ذي الوجهين » !! .

الشرق الأوسط في ١٣ / ٢ / ١٤١١ هـ ، وأعقب هذا إعلان بوش عن إرسال ١٥٠ ألف جندي أمريكي آخرين إلى السعودية ، إضافة إلى ربع المليون الذي وصلوا من قبل متذرعاً بالحجة نفسها : ضمان الردع والاستقرار ؟

ومن العجب أن يجري هذا ، ويزداد الموقف الأمريكي تصلباً ، مع الإعلان عن تراجع العراق ولين موقفه ، ومع تعاطف فرنسا وروسيا - التظاهري - معه واستبعادهما لفكرة الحرب ، دون اعتراضهما على الحشود العسكرية الهائلة ! إنها أدوار موزعة والضحية واحدة !! .

وهنا نسأل أصحاب الفضيلة : أمِنْ أجل استعادة الكويت أو إعانة السعودية يتم كل هذا ؟

أمِنْ أجل اختلاف العراق والكويت على الحدود توضع خارطة جديدة للمنطقة من إيران حتى موريتانيا ؟ - خارطة عسكرية واقتصادية وسياسية - وتسحب الجيوش من أوربا وتوطَّن في هذه المنطقة ؟ أم أن ذلك جرى وفقاً لمقتضيات النظام الدولي الجديد الذي رسمت صورته قبل غزو العراق بسنين وتحت ستار استقرار المنطقة ؟

ثم ألا ترون أن الحملات الإعلامية بين دول المنطقة ، وافتعال المشكلات وتضخيم المؤامرات المتبادلة يصب نحو الهدف الأمريكي ، أعني عدم استقرار المنطقة ويعطي الغرب المبرر للبقاء طويلاً لضمان استقرارها بزعمه ؟

وإذا كان كذلك فما دوركم مع علماء المسلمين الآخرين في هذا ؟ وكيف ترون الحل ؟ وهل يسع علماء الإسلام السكوت وأمتهم تنحدر إلى الهاوية ؟

وهل يليق بعلماء الإسلام أن ينقسموا بحسب حكوماتهم فيفتي علماء الدول المستعينة بالكفار بجواز الاستعانة ، ويفتي علماء الدول المخالفة لذلك بتحريمها ؟ وألف وخمسمائة مليون مسلم يتساءلون : الحق مع من إذن ؟

وقد تسألونني عن تصوري لهذا النظام وهذه الترتيبات الأمنية فأقول :-

إن الغرب يبني أموره عادة وفق خطط ذات احتمالات عدة ، وتحسب الحساب للمفاجآت وما يَجِدُّ في صعيد الواقع ، وعليه يصعب التحديد الدقيق المجزوم به ، لكن نستطيع استنتاج الملامح العامة والأهداف الكبرى ، ومنها :-

١ - سحق أية قوة إقليمية في المنطقة ، سواء كانت قوة عسكرية كالعراق أو اقتصادية كدول الخليج أو سكانية كمصر ، وفق خطط مرسومة وبإجماع غربي متستر بالإجماع الدولي .

٢ - ربط دول المنطقة ضمن منظومة تحالف أمني قد يشمل إيران وتركية وباكستان ، فقد صرحت مصادر استراتيجية أمريكية أن « سياسة العمودين » لم تعد كافية حتى مع تغيير العمودين الحاليين إلى العمودين المقترحين « سورية وإسرائيل » ، وأن المستقبل سيشهد سياسة « القوس الكبير » الممتد من باكستان حتى مصر - إن لم يصل إلى موريتانيا كما عبر بعضهم - وهذا القوس يدمج مع الوضع النهائي الذي سيكون عليه حلفا (وارسو) و (الناتو) بشكل ما ، أي سيكون مرتبطاً بالتحالف الغربي عامة وتحت الهيمنة الأمريكية خاصة .

فأما إسرائيل فهي حليف استراتيجي قديم ، وهي مع مقتسمي الغنيمة لا مع الضحايا ، وسوف تظل محتفظة بكل قوتها حتى الأسلحة النووية

والكيماوية والبيولوجية ، بل سوف تكون مستودعاً آمناً للمعدات العسكرية الغربية مع إتاحة الفرصة لها لاستخدام الأسلحة نفسها .

وأما تركية فقد أعلنت أنها بصدد إعادة تقييم استراتيجيتها العسكرية باعتبارها عضواً في (الناتو) ؛ لكي تصبح الأولوية موجهة إلى الشرق الأوسط بدلاً من الاتحاد السوفيتي[1] - ومع أن في تركية ما يقارب عشرين قاعدة للحلف ملآى بأحدث ما وصلت إليه التقنية الأمريكية من أجهزة الرصد والإنذار والاتصال والطائرات ، بل حتى المستودعات النووية (كما نشرت الحياة في ٢٩ شعبان ١٤١٠ هـ) .. إلخ .

فقد تضاعف الوجود الأمريكي فيها بعد الأزمة بالذريعة نفسها « تطويق العراق » ، وقام رئيسها بنشاط ملحوظ في الأزمة وما يزال ، ويحرص الغرب على إثارة مشكلة مياه الفرات بينها وبين العراق وسورية ؛ لتظل المنطقة غير مستقرة أيضاً .

وأما إيران التي لا يماثلها في مفاجآتها السياسية إلا صدام فقد فاجأ رئيسها العالم في خطبة الجمعة المشار إليها سلفاً ، في أول شعبان ١٤١٠ ، بالموافقة على جدول أعمال السلام مع العراق ، والإقرار بحقوق العراق ، ومنها حق استخدام الخليج ، ثم انتقد مواقف القوى الكبرى من محادثات السلام ، واصفاً إياها بأنها مواقف متضاربة . وقال : من ناحية تريد هذه القوى استمرار حال اللاسلم واللاحرب لتبرير وجودها العسكري ، وتواصل مبيعات الأسلحة للمنطقة ، ولكن من ناحية ثانية أن منطقة الخليج الغنية بالنفط مهمة

---

(١) صرح بذلك رئيس الأركان التركي كما في الدستور بتاريخ ١٩ / ٣ / ٨٩ ، ومما يجب التذكير به الزيارة التي قام بها رئيس وزراء تركية لإيران ، وقد أعلن فيها رفسنجاني ترحيبه بالزيارة وأكد على أهمية التحالف الثلاثي للجارات الثلاث باكستان وإيران وتركية (وذلك في شهر رجب ١٤١٠ هـ)

إلى درجة أن وجود نار مشتعلة تحت الرماد فيها يثير قلق القوى الصناعية .

فهي إذن على علم باللعبة الدولية ، وصلحها مع العراق يأتي ضمن أطماعها من الغنيمة ، ولذلك أعلن وزير دفاعها أن حكومته خصصت ١٠ مليارات دولار في السنوات الخمس القادمة لتحديث الجيش الإيراني لمواجهة ما أسماه « التغييرات الجارية ولا سيما في البلدان المجاورة » !!

إنها بداية تشكيل القوس خلفاً لحلف بغداد !!

ولكن ليست المشكلة هنا فحسب بل لها جانب آخر خفي ، أشارت إليه بعض المصادر الأمريكية أثناء أحداث أذربيجان ، حيث تحدثت عن تفكيك الامبراطورية السوفيتية مقترحة ضم المناطق الشيعية إلى إيران وضم المناطق السنية إلى تركية ، وضم أفغانستان إلى باكستان !!

فإذا ضممنا هذا إلى عمود التحالف الذي يراد إنشاؤه بين دول الخليج وأمريكا من جهة ، وبين عمود التحالف الآخر (مصر – إسرائيل – سورية) من جهة أخرى ، وضممنا إليه ما نادى به بعض مخططي السياسة الأمريكية من إعطاء إيران الثورة الأفضلية بدلاً من العراق ودول الخليج (كما ورد في الخيارات السابقة (ص ٢١) مستندين في قولهم إلى أن مناطق النفط تسكنها غالبية شيعية ، إذا تصورنا ذلك ، أدركنا خطراً كبيراً يهدد المنطقة في حالة تدمير العراق وإحلال التحالف الشيعي محله (إيران – سورية – العراق) الذي سيصبح دولة شيعية خاصة بعد فصل الأكراد ، ثم بقية المناطق الخليجية كالبحرين والإمارات وشرق السعودية ، والوجود الشيعي واضح فيها ، ولا ننسى

أن نذكر أن كثيراً من الناطقين بالعربية في جنوب تركية من النصيرية أيضاً ، أما باكستان فكثير من قادة جيشها الكبار شيعة ومعهم إخوانهم من القاديانية والبريلوية) .

إنها مصيبة عظمى لو أصبح هذا القوس الكبير قوساً رافضياً يهودياً توجهه الصليبية الغربية المتحالفة ، وهنا يجب على علمائنا الكرام تنبيه وسائل إعلامنا إلى الخطر الرافضي القادم ، وبيان فداحة الخطأ الذي تقع فيه عندما تؤيد المعارضة العراقية الرافضية وتسميها المعارضة الإسلامية ، وتصف آيات ضلالها بأنهم علماء الإسلام ، في حين تهاجم بلا هوادة جبهة السودان وجبهة الجزائر وأمثالها من الحركات الإسلامية التي مهما أخطأت فهي لا تقارب بخطر الرافضة !!

إن الرافضة هم أولياء اليهود والنصارى في قديم الدهر وحديثه ، ولا أظن الغربيين إلا قد أدركوا الفرق بينهم وبين أهل السنة جيداً ، وأخشى – لا قدر الله – أن نصحو على إمبراطورية مجوسية تمتد من الهند إلى مصر !!

أما إن صحونا الآن فسنقطع عليهم الطريق بإذن الله

٢ - ب - إرهاصات ونذر الأزمة :

قبل أقل من أسبوعين من غزو الكويت نشرت مجلة El — Feoture مقالات في غاية الخطورة ننقل ترجمة بعض ما جاء فيها :

أولاً : مقال بعنوان : « القوى العظمى تعد لحرب شرق أوسطية ، حل نهائي للمشكلة العربية » .

قالت فيه :

« تخطط حكومات أمريكا وروسيا وبريطانيا لحرب عربية إسرائيلية جديدة في الشرق الأوسط ، ويريد السوفييت والأمريكان والانجليز قيام تحالف عسكري سياسي بين إسرائيل وسوريا ، ليكون أمراً واقعاً ، وقوة لا تنافس في المنطقة ويدور في أذهان السياسيين الأنجلو أمريكيين والسوفييت ما مفاده أن الوسيلة المناسبة لقيام ذلك التحالف وتدعيمه كقوة إقليمية تهيمن على المنطقة هو نشوب حرب في المنطقة . ورغماً عن صدور بعض الإشارات والدلالات البعيدة عن هذا الهدف إلا أن السياسات الأنجلو أمريكية والسوفيتية كادت تستهدف منذ مدة طويلة قيام دولتي إسرائيل الكبرى وسورية الكبرى ، وتهيئتهما لتصبرا قوى إقليمية كبرى في منطقة الشرق الأوسط » .

وتعرضت المقالة لبعض أهداف الحرب فقالت :

« إن هذه الدول تأمل في حدوث أزمة بترولية جديدة كتلك التي حدثت في عام ١٩٧٦ وذلك لأن ارتفاعاً سريعاً في أسعار النفط سيفيد السوفييت فائدة عظيمة ، خاصة وهم يعتمدون على النفط مع بعض المنتجات القليلة الأخرى في تأمين احتياجاتهم من العملات الصعبة وسيجعل هذا الارتفاع الحاد في الأسعار مسألة تطوير وتنمية حقول النفط البريطانية

في بحر الشمال ذا جدوى اقتصادية ، وفي المقابل سيضع ضغوطاً هائلة على ألمانيا واليابان والبلدين المعتمدين اعتماداً كلياً على استيراد النفط »[1]

« وربما كان أحد أهم أهداف الحرب هو خلق سابقة استخدام الأسلحة الكيماوية والنووية ، وفي هذا الخصوص يجب عدم تجاهل المؤسسات العنصرية السوفيتية والبريطانية والأمريكية التي تنظر بقلق شديد نحو التكاثر السكاني العربي ، وتعتبر هذه الحرب الناشبة حرباً سكانية ذات تأثيرات مأسوية مفجعة ؛ خاصة ما يصيب منها السكان المدنيين عقب الحرب »

وتمضي المقابلة تقول

« الأهداف المحددة لهذه الحرب كما وردت في اتفاقية تدعيم المحور الإسرائيلي السوري تتضمن إلغاء دور منظمة التحرير الفلسطينية ، والإطاحة بالملك حسين ملك الأردن ، وإذلال رئيس العراق صدام حسين ، وربما الإطاحة به . وعندما تتحقق هذه الأهداف فإن سورية وإسرائيل ستعملان على جعل الأردن وطناً للفلسطينيين الذين سيطردون من الضفة الغربية والقطاع ، وستعمل سورية إلى ضم لبنان إليها ، وستصبح الأردن مجرد دمية يتم إدارتها من قِبَل المحور السوري الإسرائيلي ، وستكون الأردن نقطة الانطلاق لمغامراتهم العسكرية المستقبلية »

(يعني ضد العراق والسعودية)

ونحن نلاحظ في هذا المقال التناقض بين كونها حرباً عربية إسرائيلية ،

---

(١) وهما البلدان المنافسان لأمريكا اقتصادياً ، وهي لن تخسر شيئاً لأنها ستحصل على ما تريد من النفط بأسعار معتدلة بموجب عقود طويلة الأمد مع الدول المنتجة في الخليج ، أما مكاسبها العسكرية فهي ما يشهد له الواقع دون حاجة إلى تفصيل .

وبين المكاسب السورية ، وإذا علمنا ذلك وعلمنا أن سورية لم تحضر قمة بغداد وكانت تعاني من عزلة شديدة عربياً ودولياً ، مع تقارب بينها وبين إسرائيل — أشرنا إليه من قبل —[1] نستطيع أن نقول : إن الحرب لن تكون كذلك وقد ورد في ثنايا المقال ما يؤيد رأينا وذلك بعنوان : « العراق » . تقول المجلة :

« العراق واحدة من الدول الموجودة ، لا تتناسب سياستها مع السياسة الإقليمية في المنطقة ، بالإضافة لعدائها مع كل من سورية وإسرائيل . ويقول الكثيرون أن من المحتمل أن يكون العراق أنسب نقطة لحرب شاملة . وبالرغم من تضخيم وسائل الإعلام الغربية للقدرة العسكرية العراقية فإن الجبهة الشرقية المكونة من قوات عراقية أردنية مشتركة ليست كذلك ؛ إذ تتمكن القوات الإسرائيلية من اختراق الخطوط العربية من فترة ٢ — ٣ ساعات بالمقارنة مع فترة ست ساعات التي استغرقتها القوات الإسرائيلية لاختراق الخطوط المصرية عام ١٩٦٧ م ، وستعمد القوات الإسرائيلية في باقي الفترة إلى تطهير الإقليم الأردني ، ولن تحاول القوات الإسرائيلية التجاوز إلى عمق العراق أو دخوله مطلقاً ؛ حيث من المتوقع قطع خطوط القوات الإسرائيلية في الأردن ، إضافة إلى أن إسرائيل ليست لديها القدرة على التعامل مع المناطق العراقية المأهولة بالسكان ، وربما ترى إسرائيل مناسباً توجيه ضربة عسكرية لحقول النفط العراقية شمال العراق .. » إلخ .

ثم انتقلت إلى الحديث عن الأردن فقالت :—

« الأردن : أوضح بوش للملك حسين أنه لم يعد من المناسب

---

(١) لم يرد ذكر مصر لأن التطبيع قد انتهى ، وعليه فسيكون المحور (مصر ، إسرائيل ، سورية) وستنضم إليه إيران وتركية بسهولة ، وسيتم الضغط على دول الخليج لتدخل فيه أيضاً

وجوده ، حيث وصلت العلاقة بين الأردن وأمريكا إلى أدنى مستوى لها ويحتج بوش في موقفه العنيف هذا ضد الملك حسين بعلاقته الأخيرة القوية مع صدام حسين ، إلا أن السبب الحقيقي هو حل المسألة الفلسطينية نهائياً وإلى الأبد » .

وتقول

« وبالنظر بشكل عابر للصحافة الأمريكية والبريطانية ، يلاحظ أنه قد تم بناء الأساس الدعائي للحرب من خلال تصوير صدام حسين كبعبع في المنطقة ، وتولت وسائل الإعلام الغربية العزف على وتر التهديدات التي أطلقها صدام ضد إسرائيل ، وقامت هذه الوسائل في الوقت نفسه بالتغاضي عن التهديدات الإسرائيلية لمختلف الدول العربية » .

وفي مقال آخر تقول المجلة نفسها :

« إسرائيل تجهز لقيام حرب أخرى في منطقة الشرق الأوسط ، لإيجاد حل نهائي للمشكلة العربية ... وهذا يعني فيما يبدو الحرب ضد العراق ودول أخرى وتدمير الأردن »

وتسخر من مزاعم بوش أنه يسعى للسلام في المنطقة قائلة :

« هذا هراء ؛ فالولايات المتحدة ملتزمة بقيام حرب في الشرق الأوسط ، وربما كان الشيء الوحيد الذي لم يتحدد هو تاريخ اندلاعها ، أما الإسرائيليون فهم مستعدون للحرب ولما يسمى بالحل النهائي » .

وقالت : « ربما كانت هناك أو ستكون على الأرجح اتفاقات جديدة بين القوى في إسرائيل وحافظ الأسد[1] أو شيء من هذا . وإذا ما تم وضع

---

(١) ربما دار سؤال ؛ هو وأين دور حسني مبارك ؟ والجواب أنه كان منضماً في الظاهر إلى صدام ومجلس التعاون العربي ، وأن له دوراً مزدوجاً فقد كان يريد أكبر المكاسب الإقليمية من جهة ، وأكبر المساعدات الغربية من جهة أخرى ، وفي النهاية ارتبط بالطرف القوي !!.

القضايا الهامشية جانباً ؛ فإن إسرائيل مبرمجة حالياً باتجاه الحرب ، والذين يقولون غير ذلك إما أغبياء أو كذابون ، إن ذلك هو طبيعة المسألة وأصلها » .

وفي (الفاينانشيال تايمز) نشر ما يشبه ذلك وترجمته مجلة « التضامن » في عددها ٣٦٧ بتاريخ ٣ / ١٢ / ١٤١٠ هـ مع خارطة تفصيلية عن أحجام القوات في دول المنطقة وأوله : « من المعهود أن الرئيس المصري حسني مبارك هو رجل حذر وحريص ، وليس من أسلوبه المبالغة أو المزايدة ، ولذلك فهو حينما حذر هذا الأسبوع من احتمال وقوع حرب جديدة في الشرق الأوسط فإنه لفت أنظار العالم بأسره » ولم تنس الجريدة أن تذكر أن « التطرف الديني المصبوغ بمعاداة أمريكا » هو أحد المشكلات الكبرى في المنطقة ، كما ذكرت أن من أهم موجبات الحرب : « تعهد الجناح اليميني الإسرائيلي بتحويل الأردن إلى فلسطين ، وبطرد الشعب العربي من الضفة الغربية إلى الشرق عبر نهر الأردن » .

وقبل الغزو أيضاً بحوالي عشرين يوماً عقدت ندوة بعنوان « المصالح الخارجية في الخليج العربي في مدينة أكستر البريطانية » نشرتها الحياة بتاريخ ٢٤ / ١٢/١٤١٠ هـ . نظمها مركز دراسات الخليج العربي التابع لجامعة أكستر ، وكان أبرز المشاركين فيها ريتشارد مورفي النائب السابق لوزير الخارجية الأمريكية ومستشار العلاقات الدولية حالياً . والبروفيسور (فيتالي ناوومكين) وهو خبير سوفيتي بارز لشؤون الشرق الأوسط .

أما الخبير السوفيتي فإنه كما ذكرت الجريدة لم يستبعد أن اجتماعاً محتملاً مقبلاً بين الرئيسين العراقي صدام والإيراني على أكبر هاشمي رفسنجاني قد يعقد في موسكو ، لكنه دعا إلى عدم الإفراط في التفاؤل بأن منطقة الخليج ستكون في « مأمن من الصدامات في المستقبل المنظور » . وأضاف : « إن تصادم

المصالح بين القوى الإقليمية والقوى السياسية قد يؤدي إلى تجدد صراعات قديمة في المنطقة ، وينتج من ذلك نشوء صراعات أخرى عديدة » ونفى الخبير السوفياتي إمكان وقوع حرب عربية إسرائيلية في هذه الظروف ، وبرر (ناوومكين) استبعاده للحرب بين إسرائيل والعرب بسببين ؛ الأول : هو : أن « من الغباء » بالنسبة إلى إسرائيل أن تشن حرباً في ظل الأوضاع الجديدة في المنطقة حيث تتراكم لدى طرفي النزاع كميات هائلة من الأسلحة المدمرة التي يمكن أن يؤدي استخدامها إلى كارثة بشرية تحل بإسرائيل ، وهي لا تتحمل ذلك . والسبب الثاني : هو أن العراق الذي « يعتبر الطرف العربي القوي الوحيد القادر على الدخول في حرب الند للند مع إسرائيل » ليس مستعداً لشن حرب ضد إسرائيل ؛ لأنه على رغم انتهاء حربه مع إيران لم يحل السلام بينهما بعد . كما أن العراق في حاجة ماسة إلى طاقاته الاقتصادية والبشرية لإعادة إعمار البلاد » ..

أما (مورفي) فقال : « إن شبح عام ١٩٦٧ يطاردني » لأنه لم يكن هناك وقتها كثير من الخبراء توقع وقوع الحرب ، واعتبر أن تراكم الأسلحة تحديداً هو الذي يجعل احتمال الحرب أكبر ؛ لأن الخطر ليس في الأسلحة في حد ذاتها « بل في الذين في أيديهم هذه الأسلحة » ...

وقدم (مورفي) مجموعة من الطروحات عن السياسة الأمريكية في منطقة الخليج ، الآخذة في الاعتبار التغييرات في العلاقات الدولية وأكد أن من بين أهم المبادىء التي يجب أن تتبعها هذه السياسة التأكيد على الفهم المتزايد للعلاقة المتبادلة بين الولايات المتحدة ومنطقة الخليج ، وإذا كان ممكناً إقامة علاقات جيدة مع العراق وإيران في آن »

كما نشرت مجلة الدستور مقالات مماثلة منها مقال بعنوان : « من الحرب الباردة إلى الحرب الدافئة » تعليقاً منها على اجتماع حلف (الناتو) الأخير في

لندن ، ونشر قبل الغزو بثلاثة أسابيع في ١٦ / ٧ / ١٩٩٠ م . وفي عدد سابق بتاريخ ١٩ / ٣ / ١٩٩٠ نشرت مقالاً عن الهجرة اليهودية وأهداف إسرائيل لا يخرج عما نقلنا من قبل ؛ إلا أنه يتضمن كلاماً لمحمد حسنين هيكل جديراً بالتأمل ، وهو قوله

« إن طرد العرب من المناطق المحتلة سيشكل أحد المطالب التي سيتقدم بها الكيان الصهيوني لقاء استعداده للتوصل إلى سلام مع الدول العربية ، فضلاً عن المطالبة بثروات عربية مثل مياه النيل ونفط السعودية وغاز الجزائر ، وإن أقصى ما سيتنازل عنه مسؤولو هذا الكيان سيتمثل بموافقتهم على فكرة الحكم الذاتي عقب إجراء تعديلات هائلة على الحدود » وقبل ١٨ يوماً تقريباً من الغزو كان رئيس الأركان الأمريكية في إسرائيل ، وبحث مع نظيره اليهودي تزويد إسرائيل بصواريخ متطورة جداً من طراز (حيتس) و (أرو) وهي التي يقال أن إسرائيل تشارك فيها تقنياً وأمريكا مالياً ، (انظر السياسة الكويتية عدد ٢٢ / ١٢ / ١٤١٠)

وحينها صرح رئيس الأركان الإسرائيلي (باروخ) عن حتمية نشوب حرب أخرى في المنطقة . (انظر الحياة بتاريخ ٢٨ / ١٢ / ١٤١٠ هـ)

وقد صحب هذه التصريحات بل سبقها تحركات عسكرية خطيرة من أبرزها الحشود العسكرية الأمريكية الزاحفة نحو المنطقة في كثافة لا مثيل لها من قبل ، ومنها على سبيل المثال إرسال أكبر قاعدة متحركة في العالم وهي حاملة الطائرات « إيزنهاور » التي تسير بالطاقة النووية إلى شرق البحر الأبيض ، ومعها سبع وعشرون سفينة ، والغريب أن يصرح البنتاجون بأن إرسالها تبديل عادى « ولا تستنتجوا منه أي شيء » (انظر الحياة ١٣ / ٨ / ١٤١٠)

ولكن ما أن اندلعت أزمة الخليج حتى عبرت قناة السويس (رغم أن ذلك مخالف لنظام القناة نظراً لخطورة الطاقة النووية) واستقرت على ساحل جدة !! .

كما اشتكت العراق رسمياً من استمرار قيام طائرات الإنذار المبكر (أواكس) بطلعات استفزازية على حدودها الجنوبية والشمالية !!.

وأمثلة لإرهاصات الأزمة كثيرة جداً غير أن السؤال هنا هو :
ما موقف دول المنطقة وخاصة العراق والسعودية ؟.

إن السعودية والعراق هما أكثر البلدان اهتماما بهذه التحركات ، وتخوفا منها بعد الأردن الذي أصبح مصيره في كف عفريت كما يقال ذلك أن اجتياح الأردن يعني فتح جبهة مباشرة معهما ، وقد هددت إسرائيل بالدولتين على حد سواء زاعمة أن الصواريخ الصينية لدى السعودية ، والصواريخ العراقية المطورة تشكل أكبر تهديد لها ، وفي أواخر رجب ١٤١٠ ألقى صدام حسين خطاباً بالغ الخطورة ؛ أعلن فيه احتمال تفجير الوضع في المنطقة وقيام حروب بين الدول العربية ونزاعات إقليمية (لكنه لم يسمِّ الدول والأقاليم) وأكد على ضرورة تفاهم العرب واجتماعهم لدرء الخطر الإسرائيلي !! .

وعقب ذلك - وأثناء هيجان الصحافة العالمية والإعلام العالمي عن نشوب حرب - قام الملك فهد بزيارة حفر الباطن وأقام فيها ثلاثة أسابيع ، وهناك التقى بكل من صدام حسين والملك حسين وغيرهما . وفي تلك الأيام أعلنت الوحدة بين اليمنين ، وبدا وكأن الأمة العربية كما تسمى في حالة تفاؤل . ووصل عدد من المسؤولين العسكريين العرب إلى المنطقة منهم وزير دفاع [illegible] التي تنفذ مشروعاً ضخماً في المملكه . وقام الأمير خالد بن

سلطان (الذى أصبح بعد الأزمة قائداً للقوات) بزيارة لباكستان استغرقت أسبوعاً

وأنذر عدد آخر من زعماء العرب باحتمال قيام حرب جديدة ، منهم حافظ الأسد والقذافي وياسر عرفات وولي عهد الكويت ووزير الخارجية السعودي ، بل إن الصحافة العربية والمحللين والمراقبين السياسيين كانوا على معرفة بخطر قادم ، فقد نشرت جريدة القبس الكويتية في ٣ / ٥ / ١٩٩٠ مقالاً بعنوان « كيسنجر يسأل بوش ماذا إذا وقفت الصواريخ العربية كلها في خندق واحد ؟ » جاء فيه :

« إن التقارير التي ترد من واشنطن إلى وزارة الخارجية في إحدى الدول العربية ، تؤكد أن الخطة اليهودية تقضي بأن تكون إسرائيل وقبل عام ٢٠١٠ أكبر دول المنطقة بعد مصر من حيث الإمكانات الديمغرافية (السكانية) ، فليس اليهود السوفيت وحدهم هم الذين يتدفقون على الدولة العبرية ، بل إن الفائض الأمريكي سيتجه نحوها أيضاً ، والمهم هنا أن البنية الجغرافية والديمغرافية فى أكثر من دولة عربية لن تظل على حالها كيف ؟

« إن ما يحدث في لبنان هو النموذج ، واليهود يعتقدون أنه كما تمت برمجة الانفجار في لبنان يمكن برمجته في بلدان عربية أخرى ، فلا مشكلة هنا سوى رفع مستوى الفعالية اليهودية داخل الإدارة الأمريكية . إلخ

وأكدت الصحيفة أن ما تريده إسرائيل تفكيك الصواريخ العربية ، بل تفكيك الدول العربية إلى دويلات

ومن أغرب ما قرأته قبل نشوب الأزمة تصريح زعيم الرافضة « رفسنجاني » في خطبة الجمعة المنشور بجريدة الحياة ١٤ / ٨ / ١٤١٠ الذي قال فيه

« يجب أن يستخدم العراق أيضاً الخليج عندما يسود السلام » . فقد تساءلت يومئذ كيف يجب وعلى من يقع هذا الوجوب ؟

أما الولايات المتحدة الأمريكية نفسها فقد كانت تصرفاتها العسكرية تنذر بأمر خطير لم يخف على الصحافة العربية ؛ فضلاً عن الزعماء . ولنأت على ذلك بمثالين

١ - جلسة للكونجرس حضرها قادة فروع الجيش الأمريكي نشرت جريدة الحياة الصادرة يوم ٢٣ شعبان ١٤١٠ هـ تقريراً عنها بعنوان « القوات الأمريكية تعيد تنظيم تشكيلاتها للتدخل الطاريء » جاء فيه :

« بدأت المؤسسة العسكرية في الولايات المتحدة عملية إعادة تنظيم رئيسية لقواتها في أنحاء العالم لمواجهة تهديدات غير متوقعة وبخاصة الخطر المحتمل من قوى متوسطة المستوى في الشرق الأوسط والعالم النامي ، وفي جلسة أمام الكونجرس أخيراً وصف الجنرال (كولين باول) رئيس الأركان المشتركة ، وكذلك جنرالات كبار ، خططاً لصياغة المزج المناسب لقوات ثقيلة وخفيفة ، تحمي مصالح الولايات المتحدة في أرجاء العالم في عصر يتسم بخفض موازنة الدفاع ، وعدد أفراد القوات المسلحة[1]

وأبلغ الجنرال (باول) إلى لجنة القوات المسلحة في مجلس النواب الأمريكي أن الولايات المتحدة يجب أن تكون مستعدة لمواجهة طائفة من

---

(١) يعني عصر الوفاق الدولي حيث اتفقت الأطراف على ذلك ، وهكذا يكون الوجود العسكري المباشر مساعداً على تخفيف الموازنة لأنه سيحول دون نمو قوى تحتاج مقاومتها إلى تسلح أكبر ، ونفقات أكثر ، وخاصة إذا تم إيداع الأسلحة بالمنطقة مع سحب قدر من الجنود يجري إعادتهم في حالات الطواريء ففي ذلك ثبات لمستوى الأسلحة وحذف لتكاليف النقل والإمداد

التهديدات تتراوح بين عمل إرهابي فردي إلى حرب إقليمية ، وأنها تحتفظ بقوات كبيرة في أراضيها وفي أوربا وأنحاء مختلفة من العالم على مستويات عاليه من الاستعداد لمواجهة مثل هذه الطوارىء .

وعرَّف رئيس اللجنة (لي اسبين) الطوارىء بأنها « تلك النزاعات التي لا تحركها تهديدات سوفيتية ومن حلف وارسو » وأضاف (باول) أن الولايات المتحدة لجأت في الغالب في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية إلى استخدام القوات العسكرية بأعداد صغيرة نسبياً ، وفي أوضاع واضحة المعالم ، وأساساً في حروب صغيرة مثل كوريا وحرب أكبر مثل فيتنام ، أو تدخلات عسكرية سريعة مثل جرينادا وبنما ، إلا أنه حذَّر من أن التهديدات العالمية التي تواجه أمريكا اليوم تختلف تماماً ، وربما تطلبت منها أن تنشر قوات ضخمة في الجو والبر والبحر في مواجهة بلدان حسنة التسلح في العالم الثالث ، في ظروف غير مستقرة »

ووصف عمليات هذه القوات بأنها « عمليات متواصلة طويلة الأجل »

وقال أن « الكثير من هذه البلدان في الشرق الأوسط » . وقال : « وبعض هذه الدول وإحداها على وجه التحديد تمتلك مخزوناً يضم أكثر من ٥٠٠ دبابة »

وعرَّف التقرير هذه الدولة بأنها العراق

وأوضح قائد البحرية البلدان المستهدفة بأنها « المناطق الأقل تطوراً في العالم فهنا تكمن المعادن والموارد النفيسة »

(لاحظوا كيف يظهرون طمعهم في ثروات العالم الفقير ومع ذلك

يتذرعون بما يسمونه تهديدات تواجه أمريكا !!) .

على أن أهم ما في الجلسة هو وصف سيناريو التدخل الذي جاء على لسان أحد القادة حيث ذكر « أنه سيتضمن القدرة على الدخول القسري باستخدام القوات المحمولة جواً وقوات خاصة ، وجوالة ويمكن أن يستخدم أيضاً الإنزال البرمائي للمارينز التي تضم نحو ١٩٧ ألفاً من الرجال والنساء ، وتجهيزات نقل وإسناد من البحرية الأمريكية .. » إلخ . مضيفاً ما قيل عن الفرقة ٨٢ المحمولة جواً !!

(يلاحظ قوله : الدخول القسري ، الذي يعني أن أية دول ترفض هذا الدخول ستجده أمراً واقعاً ، لعلم الأمريكان أن دول الخليج لا تريد هذا الوجود ، وقد حرصت أمريكا على أن تطلب الكويت منها التدخل ، وأبلغتها عن الحشود العراقية على الحدود ولكنها لم تفعل فكان ما كان !! والمهم أن الأمريكيين قادمون وعازمون على الدخول لهذا السبب أو ذاك) .

٢ - التقرير الأمني السنوي لمجلس الأمن القومي الأمريكي :-

وهو مكون من ٣٢ صفحة وقد نشرت عنه جريدة الحياة بتاريخ ٢٦ شعبان ١٤١٠ هـ

« أفاد تقرير أمني سنوي أصدره مجلس الأمن القومي الأمريكي أن المصالح الحيوية الأمريكية في الشرق الأوسط المتمثلة أساساً في مصادر الطاقة والعلاقات الأمريكية القوية مع بعض دول المنطقة تستحق وجوداً عسكرياً أمريكياً مستمراً ، وربما معززاً في المنطقة . وأضاف أن التهديدات التي تواجه هذه المصالح ازدادت على أثر التبدد السريع للتوتر بين الشرق والغرب »

(لاحظوا لفظ الوجود بالاستمرار ، والمغالطة في دعوى أن التهديدات

زادت بعد الوفاق !!) وأضاف أن منطقة الشرق الأوسط « فيها صراعات ذات دوافع محلية مستقلة عن أعمال أو سياسات الاتحاد السوفيتي » وزاد « إن التهديدات لمصالحنا بما في ذلك أمن إسرائيل والدول العربية المعتدلة ، وكذلك تدفق النفط بحرية ؛ تنبع من مصادر متنوعة » وبعد أن ضخم كالعادة القوى الإقليمية وأسلحتها الكيماوية والبيولوجية والنووية « أكد التقرير أن الولايات المتحدة ستحافظ على وجود بحري لها في شرق البحر المتوسط ، وفي منطقة الخليج والمحيط الهندي ، وأنها ستنظم مناورات بحرية مشتركة بين فترة وأخرى ، وستسعى إلى دعم أفضل من الدول المضيفة للأسطول ، وإلى خزن معدات سلفاً في مختلف أنحاء المنطقة »

ويقول المعلق بالجريدة :

« وقد أكدت الولايات المتحدة خلال العام الماضي أنها مضت قدماً في تطبيق خطط لخزن معدات عسكرية قيمتها ملايين الدولارات في إسرائيل من أجل أن تستخدمها القوات الأمريكية في حال نشوب أزمة ، فضلاً عن منح إسرائيل حرية استخدام تلك المعدات في حال طواريء »

(وهذا ما تريد أمريكا فعله أيضاً في الدول الخليجية إذا رأت تخفيف وجودها البشري في المنطقة)

هذا وقد « توقف (التقرير) أمام العنف الناتج من صراعات دينية في الشرق الأوسط ، والذي يحظى باهتمام مسؤولي السياسة الأمريكيين الذين يعتقدون بأن التطرف الديني سيستمر في تهديد حياة السكان الأمريكيين والدول الصديقة من الشرق الأوسط والتي يعتمد العالم على مصادر الطاقة فيها » اهـ

والحاصل أن كل وسائل الإعلام العالمية خلال الشهور السابقة لانفجار

الأزمة قد نشرت أنباء نذر حرب جديدة ، وعن كون العراق هدفاً لها ، وعن تصريحات عراقية بالاستعداد لرد العدوان الأمريكي البريطاني الإسرائيلي كما تسميه !!

وإذا كان الأمر كذلك ؛ فلماذا فعل العراق ما فعل ؟ وهل كانت الدول العربية على علم بذلك ؟ وما هي الدوافع الخفية لوقوف بعضها معه علانية .. ؟ .

وهل كانت أمريكا على علم سابق بالغزو ؟ .. إلخ .

أسئلة مهمه نحاول الإجابة عليها في الفقرة التالية :

٢ - جـ - الإخراج أو الانفجار

صدام حسين رجل مصاب بداء العظمة كما يُسمَّى - وهو مفتون مغرور لا يبالي في سبيل تحقيق أحلامه في الزعامة بما يسفك من دم أو يبدد من ثروة أو يدمر من أمة

وقد أتاح له الفراغ القيادي الهائل الذي يعيشه العرب فرصة للبروز زعيماً للأمة العربية ، التي من السهل بروز زعيم لها !

كل ما في الأمر تهديدات مستمرة لإسرائيل ، عنتريات جوفاء ، إجابات وهمية .. كما فعل جمال عبد الناصر من قبل .

والأمة على حق حين تقيس الزعيم بمدى صلابة موقفه مع إسرائيل والغرب ، لكنها لا تفرق بين الصادق والممثل ، كما أن هذا ليس هو المعيار الوحيد !!

وصدام لم يكن خافياً عليه ما تخطط له الدول الكبرى ، بل هو باعتباره لاعباً مدرك أن اللعبة الدولية الجديدة ستبدأ ، وأنه ليس أمامه وأمام كل زعيم اخر في المنطقة إلا أحد خيارين :

إما أن يسير في ركب اللاعبين الكبار بلا اعتراض ، وهذا ما يجزم صدام أنَّ معناه خروجه من اللعبة نهائياً ، إنه هو والملك حسين وياسر عرفات والشير وبعض زعماء دويلات الخليج يعلمون تماماً أنهم سيطردون خارج الحلبة ، لأن قواعد اللعبة ومصلحة المرحلة تقتضي ذلك مع اختلاف الأسباب بالنسبة لكل منهم وإما أن يعترض ويناطح اللاعبين ، وهي مغامرة لكن لابد منها ، وربما حقق بعض المكاسب ومن ذلك

كان عرض العرب إيجاد حليف قوي له منصبه شرطي المنطقة

فصدام يرى نفسه أهلاً لذلك ، وهو أول من يعلم أن شعاراته الرنانة بعداوة الغرب هُراء ، وأن استعداده للقيام بهذا الدور وتخليه عن كل شعار ومبدأ لا يثير لديه أي مشكلة ، بل عليه أداء الدور كاملاً مع بقاء الشعارات والتطبيل الإعلامي !! .

وأما إن كان الغرب يريد السيطرة المباشرة على المنطقة وتدمير العراق وإنهاء زعامته (أو إيجاد حليف غير عربي « إسرائيل أو تركية مثلا ») ، فلابد إذن من دخول اللعبة من باب المعارضة التي ستحقق بلا ريب التفافاً جماهيرياً له وخسائر أقل !! وعلى كلا الحالين يجب أن يكون قوياً وأن يظهر ذلك للغرب !! .

وهكذا أبرز صدام نفسه زعيماً قوياً للعرب ، فقوة العرب الاقتصادية تحت يديه (عن طريق دول الخليج) وقوتهم البشرية كذلك (عن طريق المجلس الرباعي وتوابعه) ومن هنا طمع صدام أن يكون شريكاً للغرب إن لم يرضوا به شرطياً ، وهذه الشركة إن لم تحقق أرباحاً فربما قللت الخسائر !!

ومنطلق صدام هذا له ما يبرره في أسلوب التعامل الدبلوماسي عامة والغربي خاصة !! فالغرب يسير على قاعدة : « لا تعط الموافق لأنه مضمون ولكن اعط المعارض ليسكت » وقد استخدمها ديجول مع أمريكا وتركتها بريطانيا فلم يمر سنوات حتى صارت فرنسا قوة عالمية كبرى ، وبريطانيا كولاية أمريكية ، واستخدمها كذلك كاسترو وتيتو وعبد الناصر فأصبحوا زعماء عالميين ، أما الموافقون مثل الشاه وهيلاسلاسي وبورقيبة فقد ذهبوا دون أن يشعر بهم أحد . ومن هنا لا أستبعد في الجملة .. لا على التفصيل ، إذْ بعضُ التفصيلات المنشورة مرفوضة بداهة - اقتناع صدام بفكرة الخروج على اللعبة وإقناع الأصدقاء الموثوقين بها ، ومن السهل جداً إقناع الملك حسين

والبشير وعرفات بها ، فأمريكا لا تخفي تبرمها بهم ، وقريب منهم اليمن ، أما مصر فربما كانت غلطة صدام التي أظن أنه نادم عليها جداً !!

لقد زيَّنَ لهم أن في الإمكان استباق الأحداث ، وبدلاً من أن ننتظر الغرب حتى يرسم خارطتنا ويغير معالم المنطقة ، لِمَ لا نسبقه نحن ونضعه أمام أمر واقع إن لم يشل خططه ؛ فلا أقل من تعديلها لمصلحة هؤلاء ؟

وقد يقال : والسعودية ؟

والجواب عند صدام سهل ، وهو : أن السعودية مدركة لخطط الغرب ، وأنها مستهدفة منه ، وسياستها الثابتة : الإقرار بالأمر الواقع متى ما أصبح واقعاً ، وهي على أية حال ستجد أن تحالفاً يضم دولاً عربية خير لها من تحالف يضم وارسو والناتو .. و ... وأتباعهما !! .

ثم إن علاقتها بأمريكا لا تسمح لها بالمعارضة ، وهي لا تطمع في أكثر من حل معقول للقضية الفلسطينية ، وعدم التدخل في شؤونها الداخلية !!

ومن هنا لم ير صدام ضرورة اطلاع السعودية على الخطة !! دون أن ينسى دورها المؤثر مالياً وسياسياً ، وخوفها البالغ من ضربة إسرائيلية مفاجأة للعراق والأردن وربما لها !! .

وهكذا طرح صدام مع حسني وحسين وغيرهما ؛ فكرة الاستيلاء على الكويت (وقد سمعتم تصريحاتهم بذلك بعد الغزو) وأن ذلك هو أسهل طريق لإرباك اللعبة الدولية في نظره ، وهو أمر له مبرراته عند هذه الدول ، فما الذي ستخسر مصر ؟ عودة المتعاقدين مثلاً ؟ هذه سيعوضها صدام من ثروات الكويت الهائلة ، والأردن ستتخلص من مشكلة الفلسطينيين ، وكلما قويت العراق عسكرياً واقتصادياً فهو أفضل له من جهة ردع إسرائيل ، ومن جهة

كون الأردن منفذاً للعراق إلى القناة والبحر الأحمر !! فارتباطه بصدام سيطيل رمقه على الأقل !! واليمن فوق كون بعض زعمائها بعثيين تابعين له ، لن تخسر أيضاً مساعدات الكويت ، وستغذى وحدتها الهشة بشعارات جديدة من معاداة الغرب ، وأما البشير فماذا سيخسر وهو لا يُعطى أي شيء أصلاً ؟ لقد قطعوا عنه الحبوب والديزل وكل شيء !! و لم يمد له يد العون إلا صدام الذي يأخذ منهم ويعطي من يشاء !! وياسر عرفات عصرته أمريكا حتى لفظته ، وها هو ذا كارتر يمد اليد لحماس هذه ، وسورية ضده ؛ فهو في حكم المفلس كُلِّيةً ، فالتعلق بذيل صدام خير له من الإعدام !! ودول الخليج الأخرى يعلم صدام أن بعضها غير مرتاحة لحكومة الكويت ولن تندم عليها !! فهي تدعي الديمقراطية وصحافتها مقلقة ، وتتمركز فيها بعض أطراف المعارضة العربية !

ولسان حال الجميع يقول : على أية حال إذا فشل صدام فمن السهل أن ننفي أي معرفة بالأمر ؛ بل في إمكاننا أن نستنكره !! وهكذا السياسة دائماً

ثم إن المساعدات المادية من دول الخليج ستعود بمجرد صلح ظاهري هش !!

فما المانع من المغامرة ؟!

أما كيف كان صدام يخطط للإخراج فقد اتضح كله تقريبا

هجوم عسكري مباغت ، يهدف أساساً إلى القبض على الأسرة الحاكمة ، مما يؤدي إلى ما يسمى الفراغ الدستوري ، ثم يملأ الفراغ بتشكيل سريع لحكومة موالية من قوى المعارضة التي بلغ بها السخط ذروته في الأيام الأخيرة ، ثم انسحاب صوري للقوات العراقية . والحكومة الجديدة سوف

تُعلن فصلَ كلِّ وزير أو سفير يؤيد الأسرة ، وستصبح حكومة شرعية (كما يسمونها) بمجرد أن تمسك بالسلطة كالعادة في انقلابات العالم كله ، وستعلن أن صدام ما هو إلا جار شقيق هبَّ لنجدتنا وتخليصنا من الاستبداد ! .

(وهكذا قبل أن يستطيع العرب أو العالم فعل أي شيء يكون الأمر قد انتهى إلى طي الكويت تحت جناح العراق وسيطرته ، ويستمر الحال ربما سنين معدودات حتى تهدأ المعارضة الدولية وتطلب الحكومة الاندماج في العراق) .

والغرب سيحتج ويستنكر ويقاطع ، ولكن كل شيء سيصبح طبيعياً مع الزمن وسيتعاملون مع الأمر الواقع مرغمين !! ولن يكون المهم لأمريكا – والحال هذه – موضوع الكويت بل الموقف القوي لصدام في الخليج والمنطقة ، بل في مجموعة الأوبك التي سيصبح زعيماً لها أيضاً !! وسوف تشن معارك دبلوماسية واقتصادية بين صدام والغرب ، ولعلم صدام بالمخطط الكوني لإنهاء جميع المشكلات سوف يطالب هو بربط قضايا المنطقة جميعاً (وهو ما فعله في مبادرته المشهورة) فيحقق بذلك نصراً وهمياً عند الجماهير العربية ، ويطيل من أمد نهايته ؛ لأن حل القضايا يستدعي وقتاً وجهوداً طويلة ، وسوف يضرب صدام بعض الغرب ببعض ، بحكم مركزه القوي في الدول العربية ومنظمة الأوبك !! وسوف يبتز دول الخليج وخاصة الصغرى منها ، وسوف تستسلم لزعامته دون حاجة إلى أن يثير العرب والعالم عليه باحتلالها ، لا سيما وأنها تختلف عن الكويت إذ ليس له فيها مبرر تاريخي ، وليس بينه وبينها خلاف حدودي ، ولا يمكن ضمها جغرافياً ، وأي فائدة ترجى من احتلالها ستحقق بغيره !! ، حتى دولة الإمارات التي ارتبطت بالكويت في هجومه الإعلامي لم يفكر أن يحتلها ، ولو شاء لكفته ذلك فرقة واحدة قبل قدوم

جيوش الغرب . كيف وقد غصَّ بالكويت وأخذ يناور للتخلي عن أجزاء منها !! وأعلن ثاني أيام الغزو انسحابه منها ، وذكر مراسلو الإذاعات الغربية أنهم شاهدوا ذلك عياناً !! .

والذي أصبح اليوم في حكم المقطوع به أن صداماً قد تلقى من أمريكا إشارة خضراء للزحف على الكويت (كما سنوضح) وأن غروره وحماقته قد أوقعته في شراك يصعب الخلاص منه ، وأن مخططه هذا قد ارتبك جداً .

فآل الصباح هربوا قبيل وصول دبابته قصورهم بقليل ، والفراغ الدستوري لم يحدث ، والمعارضة رفضت التعاون معه ، وضباطه لم يجيدوا التمثيل فيما وكل إليهم من أدوار للحكومة الحرة ، ومن هنا تناقض وارتبك وأعلن آخر ما كان يمكن أن يفعله وهو ضم الكويت نهائياً عقب إعلان انسحابه منها ، وتشكيل الحكومة الحرة !! .

وكل من يستذكر وقائع الحدث أو يعيد الاطلاع على الصحف سيجد هذا واضحاً .

وهنا نعرض لدور أمريكا في الإخراج مذكّرين بما سمعه المتتبعون لوسائل الإعلام قبل الحادث :-

فأمريكا هي التي طلبت من دول الخليج رفع انتاجها ؛ ليرخص السعر وتنهار العراق اقتصاديا ، وهي التي أبلغت العراق عن سرقة الكويت لحقل الرميلة . وهي التي تحدثت وأنذرت من حشود عراقية باتجاه الكويت ، وهي التي أشاعت في بعض مصادرها الإعلامية أن الكويت مولت مؤامرة عسكرية للإطاحة بصدام ، وأخيراً أعطت صدام الضوء الأخضر لاقتحام الكويت ، كما جاء في محضر لقاء السفيرة الذي سنعرضه ضمن الشواهد !! .

وعشية الغزو - ليلة الجمعة - أعلن بوش بالحرف « أن تجاوز العراق للكويت إلى غيرها هو أمر غير مقبول » هذا نص ما أعلنته الإذاعات ونشرته الصحف ، ومفهومه الواضح وعاه صدام وحزبه فتوهموا إمكانية الاعتراف له بالكويت

ولما أعلن صدام الحكومة الحرة ؛ رد بوش بإعلان أن أمريكا ترفض الاعتراف بحكومة دُمْية ، ومفهومه كان الإيغال في الشراك بإعلان الدمج ، تقويض الدُّمْية !![1]

فلما استحكمت الأنشودة وأصبح التراجع مستحيلاً تماماً ، أعلن بوش حملته التي لم تهدأ لإعادة أسرة آل صباح ، وعرض القانون الدولي معاقبة من خرقه .. إلخ .

وهرعت أمريكا تساوم دول الخليج للتدخل العسكري ، وترددت الدول ، وحاولت الامتناع ، وأخيراً جرى الإعلان هنا عن « طلب المساعدة » من أمريكا في حين أعلنتها أمريكا « موافقة » على التدخل ، أي إنها هي الطالبة وهذه هي الحقيقة في نظري !![2] .

---

(١) من أغرب ما سمعته في هذه الأزمة - على كثرة غرائبها - تصريح طارق حنا عزيز في مؤتمره الصحفي بعمان بعد الغزو ، وعندما ألحّ عليه الصحفيون عن احتمالات ضربة من أمريكا عاجلة ، قال : « إننا في الحكم منذ عشرين سنة ونحن نتعامل مع الغرب ونفهمنا ونفهمه ، وبيننا وبينه مصالح مشتركة ، فلا [illegible] !!» . [illegible] حسن [illegible] لإعلام البعثي سابقاً أن أحمد حسن [illegible] طارق عزيز [illegible]

(٢) [illegible] « تفترض كل السيناريوهات الرسمية أن حكومة صديقة تتعرض لهجوم من جانب قوى معادية وتطلب المعونة الأمريكية ص٥٦ (اتجاهات التدخل الأمريكي) وذلك لضمان احتلال [illegible] مدفوع [illegible] من الدول المحتلة نفسها .

ومنذ ذلك اليوم حتى اليوم ، والذي يتردد في وسائل الإعلام الأمريكية كافة هو أن أمريكا تدخلت لا أنها أعانت !!

تدخلت لتحقيق استراتيجيتها وحماية مصالحها والقضاء على عدو يهدد هذه المصالح ، لا أنها أعانت صديقاً لها يخشى أن يهاجمه جاره !!

ومن ذلك جواب بوش الشهير لما سئل في مجلس الشيوخ الأمريكي « كيف ترسل أمريكا أبناءها من أجل شيوخ النفط المستبدين ؟ فأجاب : نحن ذهبنا من أجل شيوخ أمريكا ومصالحها وليس من أجل شيوخ النفط !! ».

وبعد نزول الأمريكان ، أعلن طاغوت البعث « الجهاد المقدس » ورد بوش بالإعلان عن كفر صدام وإلحاده ، وأنه لا يمثل الإسلام ، كما أعلنت تاتشر أنه لا وجه لمقارنته بصلاح الدين الأيوبي (رحمه الله وطيّب ثراه) . وتحول هياج الرأي العام في العالم الإسلامي نتيجة الإعلام البعثي المركز من استنكار احتلال الكويت إلى استنكار دخول القوات الأجنبية ، ونتيجة هذا الغليان الذي لم يهدأ ، احتاجت الحكومة لصوت إسلامي مضاد ، فكان إعلان التأييد من مجلس القضاء الأعلى ، ثم من هيئتكم الموقرة ، وتم طلب ذلك أيضاً من المحاكم الشرعية في المناطق كما تعلمون !!

ومع تحفظي على صيغة التأييد من جهة أنه لم يشر إلى أسباب البلاء ووسائل دفعها ولو بإيجاز ، ومن جهة أنه لم يُقيِّد الضرورة .. وغير ذلك ، فقد ارتحت من جهة أنه لم يذكر أدلة تفصيلية

ثم ظهر بعض الخطباء بهيئة المستدرك عليكم ، فذكروا أحاديث لا تدل على المقصود ، لأن مناط الحكم مختلف تماماً ، إما لأنها ليست في باب الجهاد أصلاً ، وإما لاختلاف الواقع اختلافاً كلياً فلم يسعني إلا إعلان رأيي كما سمعتموه ، وكانت القضية الأساسية عندي — وما تزال — هي : تصور الواقع على

حقيقته ، وتحذير الأمة من مخاطره في المستقبل ، لاسيما بيان أن ما أصابنا هو من عند أنفسنا ، وأن الرجوع إلى الله والضراعة له والاستكانة أساس الحل ، وضرورة التوكل على الله وحده ، وإعداد العدة للاستغناء عن كل ما سواه ، وإحياء فريضة الجهاد ، وتدارك مفاسد وجود هذه القوات ، وبيان تقصيرنا في الإعداد وفي معاملتنا لصدام وغيره ، وفتح المجال للدعوة وإنكار المنكر وما أشبه ذلك هذا هو خلاصة ما كنت أردده – ولا أزال – وأكرّر معه في كل كل مناسبة التحذير من التهور ، والاندفاع العاطفي ، وترك الحكمة في معالجة الأمور !!

لقد قُضي الأمر وحلّت الكارثة ، فلم يَعُدْ مُجدياً الخلاف في المسألة فقهياً ، بل الواجب تدارك آثار هذا الوجود المدمّر ، وإعداد الأمة للخلاص من أسبابه ونتائجه بأفضل الأساليب وأحكمها ، ومنها ما أشرت إليه آنفاً

ثم جاءت الوقائع لتصدق التوقعات ، وظهرت الشواهد المؤيدة لما خفته وحذرت منه ، ولن أطيل عليكم بذكر مآسي الواقع المؤلم عقدياً وسلوكياً ، معنوياً ومادياً بعد نزول القوات ، فكلكم يعلمه ، وأنا أعلم أن كثيراً ممن لديهم حقائق جلية عن ذلك قد عرضوها عليكم ، ولكنني سأقتصر على شواهد دالة على ما توقعته من خطط صدام كما ذكرت الشواهد الكثيرة على خطط الغرب :–

١ – نشرت مجلة « المجلة » السعودية في عددها بتاريخ ١٤ – ٢٠ ربيع الأول مقابلة مع حسن العلوي ، والذي كان مسؤولاً إعلامياً وحزبياً بارزاً في العراق ، وكان في المقابلة سؤال : (ما هي في نظركم الأسباب التي دفعت صدام حسين إلى غزو الكويت ؟) وكان من الجواب بعد أن نفى أن يكون الهدف اقتصادياً أو توسعياً كما تذكر الصحف المصرية وغيرها :

« إن ضم الكويت هدف قديم في سياسة صدام حسين ، وقد تناولت ذلك في دراسة عديدة أشيرُ إلى بعضها (مقال في جريدة تشرين السورية العدد الصادر بتاريخ ٣ تموز (يوليو) ١٩٨٢ مقال في جريدة الجهاد الناطقة بلسان حزب الدعوة الإسلامي العدد الصادر في ٤ نيسان (إبريل) ١٩٨٣ وفي جريدة التيار الجديد العدد الصادر في لندن بتاريخ ١١ آذار (مارس) ١٩٨٥)

وقد أكَّدتُ في تلك المقالات على أن صدام سيضم الكويت بعد انتهاء الحرب لكن توقيت العملية سيبقى مرهوناً بظروفها . أما وقد تمت في الثاني من آب (أغسطس) ١٩٩٠ أي بعد ٧ سنوات على نشر أقدم مقال أشَرتُ فيه إلى احتمال الضم ، فإن بالإمكان الآن الاستعانة لا بعلم السياسة بل بسيكولوجية صدام وأسلوبه في العمل لمعرفة السبب المباشر ، وهو سبب يرتبط بالمتغيِّرات الكبيرة وسقوط الدكتاتوريات في أوربا الشرقية ، وما أعقب ذلك من مواجهة كتابات صحفية وتصريحات سياسية عن توقع هبوب الرياح الديمقراطية على المنطقة العربية ، وقد رشحت صحف عالمية ومصادر عربية « العراق » الاسم الأول في قائمة من ستهب عليه رياح التغيير ، وكانت حتى الصحف العربية تتحدث عن وجود شاوشيسكو عربي ، بينما أشارت صحف غربية إلى أن شاوشيسكو يبدو وزنة مسالمة بجانب صدام حسين .

صدام في أعماقه كان يحمل مخططاً آخر يستند إلى نظريته في الأمن الوقائي التي تستهدف ضرب الخصم وهو في مرحلة حمل النوايا قبل أن تترجم النوايا إلى أحداث

إنه ليس ذلك الذى يمنح خصمه الضربة الأولى ، لقد اختار - وكان ناجحاً - بمعايير خاصة أن يهاجم المستقرات الدولية ويهدد المصالح الأمريكية

والغربية مباشرة بعملية تستطيع أن تغيِّر بؤرة الاهتمام وتجعل المطالب الديمقراطية على هامش مهمل ، ولم يكن أفضل من غزو الكويت ما يحقق له ذلك .

لقد هيأ لذلك بتهديدات تأكل نصف إسرائيل ، وتحرش ببريطانيا حين أعدم صحفياً لها ، وأعلن بعد غزو الكويت أن العراق يقود العرب لمواجهة أمريكية – هل تعني أنه كان مضطراً ؟ – إنه لم ينفذ عمليته مختاراً أو من موقع القوة بل بتصرف المحكوم عليه بالإعدام ، ولهذا فهو لن ينسحب ؛ لأن انسحابه لا يلغي الحكم الصادر عليه ، وهو ليس من هؤلاء الذين يثقون بوعود قد تقدم إليه باستمراره بالسلطة بعد الانسحاب .

ولأن القرار العراقي لا يخضع لقوانين علم السياسة ؛ فقد تكبو توقعاتنا وينسحب صدام « انتهى .

٢ – نشرت جريدة الحياة بتاريخ ٣ ربيع الأول مقالاً بعنوان : (لماذا أمر صدام بتسريب محضر جلسته مع غلاسبي) أي مع سفيرة أمريكا في بغداد جاء فيه :

(واضح من تعارض الصيغ التي طرحتها حكومة العراق خلال شهر آب (أغسطس) أنها كانت ترتجل الحلول بطريقة عشوائية ، تدل على الضياع وعدم الثبات ، كأن هناك خطأ ما حدث أثناء تنفيذ عملية الاجتياح أدى إلى إرباك الخطة كلها ، ويقول القادمون من منطقة « الدسمان » أن الأمير وأفراد العائلة غادروا قبل سبع دقائق فقط من وصول الوحدة العراقية المكلفة بأسرهم أو اغتيالهم ، وكان المطلوب على ما يظهر إحداث فراغ دستوري ؛ نتيجة للعملية التي لم تتكامل ، وبهذا يكون الرئيس صدام حسين حقق غرضه بالتخلص من السلطة « المتعبة » ، ووضع الكويت أمام احتمال الإتيان بصيغة

للتحالف تكون للمعارضة فيها حصة الأسد ، لكن خروج الأسرة الحاكمة إلى السعودية أدّى إلى الإقلاع في اتجاه معاكس ؛ ففي الأيام الأربعة الأولى تحدثت بغداد عن نية الانسحاب المشروط ؛ خصوصاً ما رفضت إدارة (جورج بوش) التجاوب مع إشارات الحوار التي أرسلت بواسطة شخصية عربية إلى مكتب (جون سنونو) رئيس أركان البيت الأبيض ، ومع صدور قرار الإنزال الأمريكي تغيرت صورة الأزمة ، ونُقل موضوع التسوية إلى إنشاء هونغ كونغ كويتية كبوابة نظام « حر » يتمتع بحكم ذاتي ، ثم سقط هذا الخيار أيضاً لأن المعارضة رفضت أي تعاون لتشكيل حكومة ثورية ، ولكي تتحاشى بغداد الإشكال القانوني حول شرعية النظام الجديد أعلنت ضم الكويت واعتبرتها امتداداً جغرافياً وتاريخياً للعراق) .

ثم تحدث عن محضر الاجتماع بين صدام والسفيرة (المحضر الرسمي الذي سرّبه العراقيون) لفتح باب الاجتهاد على الاحتمالات المختلفة ، ويعطي الانطباع بأن السفيرة التي اشتغلت في حل الأزمة اللبنانية ، تعرف جيداً ماذا كان يعني صدام حسين بقوله « عندما نجتمع في جدة ونرى أن هناك أملاً في التوصل إلى تسوية ، فأنا على يقين بأن شيئاً لن يحدث ، أما إذا فشلنا في إيجاد حل عندئذ يبقى من الطبيعي أن يرفض العراق الموت والهلاك ! »

جاء هذا الكلام في معرض الاستيضاح عن الغاية من نشر قوات عراقية مكثفة على طول الحدود مع الكويت . وقالت السفيرة الدقيقة الحجم الخافتة الصوت : إن واشنطن طلبت منها - من مواقع الصداقة لا التحدي - الاستفسار عن معنى هذا التجمع العسكري ، وأبلغها الرئيس العراقي بطريقة رمزية أن اجتماع جدة ربما كان آخر حل دبلوماسي ، وأكثر من هذا فإن وقائع المحضر تشير إلى إنذار واضح حول الخطوات العملية التي سيقدم عليها

العراق ؛ إذا فشلت المفاوضات . وقال لها حسب ما جاء في المحضر إذا كان بمقدورنا الاحتفاظ بكل العراق – يعني الكويت أيضاً وشط العرب – فإننا لن نُقّدم أيّ تنازل ، أما إذا خُيِّرنا على نصف شط العرب فنحن على استعداد للتنازل عن النصف الآخر لإيران شرط الاحتفاظ بكل العراق على النحو الذي نبتغيه[1]

بعد انقضاء أربعة أيام على الاجتياح استقبل صدام حسين القائم بالأعمال الأمريكي (جوزيف ويلسون) ، لأن السفيرة (غلاسبي) انتقلت إلى باريس لقضاء عطلة الصيف ، وهي حالياً ملحقة في مكتب متواضع في وزارة الخارجية ، في انتظار مصيرها الدبلوماسي . وقال ويلسون : « من المفيد استئناف الحوار ، لأن هذه هي الطريقة المثلى لإزالة التوتر » . ورد الرئيس العراقي عليه أن بلاده لن تتعرض بالأذى لأى بلد لا يعتدي عليها . وعاد (ويلسون) يسأل : « والسعودية ؟ » ، أجاب صدام : « إن هذا السؤال لم يخطر لي على بال ! إذا كنتم فعلاً قلقين على السعودية فإن قلقكم لا مبرر له ، أما إذا كنتم تدفعون السعودية إلى أن تقلق فهذا أمر آخر » .

« وفي ردها على هذا السؤال ، قالت السفيرة (غلاسبي) لصحيفة واشنطن بوست إنه لم يخطر على بالها « أن صدام حسين سيحتل كل الكويت » ومن هذه العبارة الصغيرة بنت المعارضة في الكونجرس حجتها للمطالبة بإقالة (بيكر) و (كيلي) لأنهما فشلا في فهم مخاطر هذا الموضوع » انتهى .

ولهذا المحضر رواية أخرى نشرتها مجلة « المجلة » السعودية في عددها المشار إليه عن (مايلز كوبلاند) رجل المخابرات الأمريكية المشهور في المنطقة

---

(١) هكذا تفوح رائحة عمالة صدام لأمريكا كما تظهر تبعية إيران والكويت فهو يفاوض السفيرة باعتبارها وكيلة على المنطقة

ومؤلف كتاب لعبة الأمم وغيره ، يقول (كوبلاند) :-

« إن النص الذي نشر في هذه الصحف كمحضر للاجتماع غير كامل ، وإن النص الكامل موجود لدى وزارة الخارجية الأمريكية ، وقد اطلع هو على نسخة عنه ، والذي قيل فيه أن (غلاسبي) أبلغت صدام أن حكومتها على علم بخطته لغزو الكويت ، وحذرته من عواقب مثل هذا العمل بالنسبة إليه شخصياً وإلى النظام في بغداد وإلى البلد ككل ونفى صدام من جهته وجود أي خطة لغزو الكويت لكنه أضاف أنه حتى لو حصل مثل ذلك فنحن مهيأون تماماً لردود الفعل الدولية ، التي لن تتجاوز الصراخ وحملات الغضب في الصحف الغربية . وسيصوت مجلس الأمن على قرار بفرض حظر على العراق ، ونحن قادرون على تجاهل ذلك ، مثلما تجاهلت إسرائيل قرارات مماثلة في السابق ، وستصوتون على عقوبات اقتصادية وما شابه ذلك ، ومع الوقت سيهدأ كل هذا الضجيج ، وسيبقى العراقيون في الكويت » . ويروي (كوبلاند) « أن (بريل غلاسبي) لم تواجه صدام وأنها كانت مرنة معه خلال اللقاء حتى عندما هددها بنيته مواجهة الإجماع الدولي ضده ، ومن هنا كان الانطباع لدى العراقيين الذين حاولوا تسريبه إلى الصحف الأجنبية ، وإلى عدد من الدبلوماسيين للإيحاء أنه كانت هناك لا مبالاة أمريكية حيال النوايا العراقية » انتهى

٤ - نشرت جريدة السياسة الكويتية الصادرة بجدة في ٧ ربيع الآخر ١٤١١ بعنوان رئيسي كبير ، تقريراً عن الملف الأوربي للقضية المسمى « جذور الصراع المقبل في الشرق الأوسط » ، وبالرغم مما في التقرير من أسماء وعبارات يمكن اعتبارها مقحمة أو موجهة توجيهاً خاصاً ، فإننا ننقل رواية الملف للقاء السفيرة ، وهي رواية تدل على معرفة صدام والغرب بتصميم خارطة جديدة للمنطقة وتؤيد ما سبق

يقول الملف :

« بعد استماعه لفحوى الرسالة الأمريكية ، قال صدام حسين للسفيرة : أنا لست معنياً بالسعودية ودول الخليج الأخرى ، ولست معنياً أيضاً بأية خارطة لتسوية جديدة في المنطقة ولكنني معني بـ « ضرورة وضع حد للنزاع التاريخي بين العراق والكويت » .

وعقبت السفيرة الأمريكية قائلة : إن الرسالة التي أُبلغتُ بإيصالها لك أن حكومتي لا تقبل تنفيذ مثل هذا المخطط الذي اتفقتم عليه مع الأردن وإسرائيل[1] واليمن ومنظمة التحرير الفلسطينية .

« ويقول تقرير الملف : إن الرئيس صدام حسين يبدو أنه فهم تعقيب السفيرة الأمريكية بما يعني أن واشنطن يمكن أن تغض الطرف عن هجوم عراقي على الكويت . وفي الوقت نفسه يبدو أن واشنطن أرادت عبر هذه الرسالة أن تدع الأمور تمضي كما قد يتصورها صدام ، حتى إذا ما ابتلع « الطُّعم » كان قد تورط بالفعل فيما تريد واشنطن ؛ ذلك أن الإدارة الأمريكية في هذا الوقت كانت توصلت إلى قناعة بأن النظام العراقي أوشك على الدخول في « المنظومة النووية » بشكل يخل بالميزان العسكري الاستراتيجي في المنطقة ، ويعوق في نفس الوقت أساسيات النظام الدولي الجديد الذي اتفقت عليه واشنطن وموسكو ، بعد انهائها لفصول الحرب الباردة .

ولهذا فإن واشنطن بدا أنها تستعجل إقدام صدام حسين على مغامرة من هذا النوع ، تستوجب الضرورات بعدها ، أن توجه إليه ضربة عسكرية تقضي على البنية التحتية لكيان العراق وتدمر آلته العسكرية » انتهى .

---

(١) لدي شك في كون هذه الكلمة بالأصل وأظن أنها أضيفت عمداً !!

ومن المهم هنا أن الجريدة نفسها نشرت في ص ٣ تحليلاً عن نوايا صدام المبيتة ، وأشارت إلى الخطاب الذي ألقاه في فبراير ١٩٩٠ ، رجب ١٤١٠ ، وفيه تحدث صدام بوضوح عن : أفول نجم قوة الاتحاد السوفيتي ، كما أن الرئيس العراقي تكهن بأن الولايات المتحدة سوف تتمتع في السنوات الخمس المقبلة بحرية الحركة في الشرق الأوسط ، وتوقع أن تستخدم واشنطن هذه الحرية لإيذاء العرب مشيراً في هذا الصدد إلى المساعدات الأمريكية للمهاجرين السوفيت إلى إسرائيل ، واستمرار وجود القطع البحرية الأمريكية في الخليج ، على الرغم من انتهاء الحرب الإيرانية العراقية ، ويستنتج صدام حسين من ذلك الآتي :

« إن الدولة ستتمتع بالنفوذ الأعظم في منطقة الخليج العربي ونفطه ، سوف تحافظ من خلال ذلك على قوتها العظمى من دون وجود قوة مماثلة تقف في وجهها وهذا يعني أنه إذا لم يع شعب الخليج وسائر العرب ذلك ، فإن رغبات الولايات المتحدة سوف تتحكم في الخليج العربي . وبالتالي فإن أسعار النفط سوف تثبت عند مستويات تفيد المصالح الأمريكية ، وتتجاهل مصالح الآخرين » . ويخلص الرئيس العراقي بعد ذلك إلى « الدعوة لاستخدام أموال النفط التي يستثمرها العرب في الغرب لفرض تغييرات في السياسة الأمريكية ، وربما يجب سحب هذه الأموال وإعادة استثمارها في الاتحاد السوفيتي وبلدان الكتلة الشرقية في أوربا . ويرى أنه لا مكان في صفوف العرب الطيبين لأصحاب القلوب الضعيفة الذين يجادلون في أن الولايات المتحدة كدولة عظمى تمثل عنصراً حاسماً ، وما على الآخرين سوى الخضوع لها » انتهى

٥ - نشرت جريدة الأهرام بتاريخ ١٩ - ٢١ / ٣ / ١٤١١ هـ ثلاث مقالات متوالية للأستاذ سلامة أحمد سلامة ، المقال الثاني منها بعنوان « مخطط

أمريكي » والثالث : « الوقوع في المصيدة » يقول :-

« يعتقد أصحاب الرأي القائل بأن غزو العراق للكويت تم بتخطيط أمريكي مسبق .. فإن لم يكن بتخطيط ؛ فعلى الأقل بعلم مسبق - وذلك طبقاً لشواهد وأدلة سردناها أمس - أن أمريكا كانت بحاجة إلى ظروف وملابسات استثنائية غير عادية تبرر لها العودة إلى فرض نوع من الوجود العسكري في منطقة الخليج .

أما لماذا تحتاج أمريكا إلى وجود عسكرى في الخليج ، فلأن مخططي الإستراتيجية الأمريكية يرون أن خط الدفاع الرئيسي عن مصالح أمريكا والغرب قد تزحزح من أوربا إلى منطقة الخليج .. وذلك في ضوء التطورات الدولية الأخيرة بعد أن انهار النظام الماركسي في أوربا الشرقية . وتم التوصل إلى معاهدات واتفاقيات للحد من الأسلحة الاستراتيجية ، ووضعت ضمانات تكفل عدم الاعتداء وعدم نشوب حرب بين أمريكا والاتحاد السوفيتي وبعد أن دخل الاتحاد السوفيتي نفسه تحت جناح النظام الاقتصادي الغربي ، واشتدت حاجته إليه ، وأصبح التعاون بين القوتين العظميين أكبر من أي تناقض أو تضارب بينهما . وهكذا لم يبق أمام أمريكا والغرب بعد أن اختفى التهديد الأيديولوجي والعسكري من جانب السوفيت إلا أن يتركز الاهتمام على مصادر التهديد الأخرى ، سواء كانت في صورة تهديدات للمصالح الاقتصادية ومصدر الطاقة كما هو الحال في منطقة الخليج ، أو في صورة حروب ومنازعات تأتي من الصارعات والمشاكل الإقليمية المزمنة ، كما هو الحال في مشكلة الصراع العربي الإسرائيلي ، أو في صورة انفجارات وثورات تأتي من دول العالم الثالث والشعوب الفقيرة كما هو الحال في التناقض الشديد بين الشمال والجنوب . ويرى أصحاب هذا الرأى أن التطورات التي أعقبت توقف الحرب العراقية الإيرانية وبروز العراق بما لديها من أسلحة

وقوات مدربة كقوة إقليمية مسيطرة في منطقة الخليج ، بدأت تثير مخاوف مخططي السياسة الأمريكية منذ عدة شهور ، وكان تركها تنمو بدون تحجيمها معناه أن تتحول إلى قوة عالمية قد لا تحترم قواعد اللعبة في المنطقة . ومنذ وقت طويل قامت السياسة الأمريكية على مبدأ أساسي هو الحيلولة دون أن تتعاظم قوة إحدى دول الخليج إلى درجة تمكنها من السيطرة على منابع البترول والتحكم في أسعاره وأسواقه .. فعندما حاولت إيران ذلك في عهد (الخميني) سلطت عليها العراق فأنهكتها وأوشكت أن تجهز عليها . والآن عندما ظن الرئيس العراقي أنه قادر على ذلك كان لابد أن تتدخل السياسة الأمريكية لإعادة الأمور إلى نصابها .. وبالأخص بعدما طالب بانسحاب الوحدات البحرية الأمريكية من مياه الخليج ، وهدد بضرب إسرائيل بالصواريخ ثم استدار إلى الكويت والإمارات لإرغامهما على تنازلات محددة في أسعار البترول وديون الحرب التي على العراق لدول الخليج . ولكن هل معنى ذلك أن أمريكا هي التي دعت صدام إلى غزو الكويت ؟ »

« النظرية التي تقول إن امريكا عرفت و لم تبلغ ، أو إنها قرأت بعض المؤشرات و لم تتحرك لوقف عدوان صدام حسين ضد الكويت .. قد تكون صحيحة في بعض جوانبها ، ولكن هذا لا يعني أن أمريكا قد خططت بالاشتراك مع الرئيس العراقي لغزو الكويت ، أو أن الأهداف الأمريكية والأهداف العراقية قد التقت عند نقطة واحدة ، أو أن صدام عميل أمريكي ينفذ عن علم واقتناع خطة شيطانية كبرى . مثل هذه الاستنتاجات قد تبدو من نسج الخيال .. ولكنها لا تبعد كثيراً عن الواقع إذا عرفنا أن لدى الدول الكبرى وسائلها التي تمكنها من دفع بعض القيادات التي يستولي عليها الغرور وجنون العظمة إلى ارتكاب أخطاء قاتلة ، والوقوع في مصيدة لا فكاك منها والسير في الطريق الذي رسمته له دون أن يدري .. عن طريق إمداده بمعلومات موثقة ولكنها خاطئة ، ومسايرته

في خطط وتدبيرات تدفعه إلى مزيد من الشطط وسوء التقدير تقترب به من الهاوية دون أن يدري » . انتهى

٦ - ونشرت بعض الصحف كثيراً مما يؤيد ما سبق ، رأينا الاستغناء عنه ، ولكن نشير إلى أحدها والعهدة فيه على راويته وهي (فضيلة الصبَّاح » من الأسرة الحاكمة الكويتية تقول :-

(عندما كنت طالبة بإحدى جامعات سويسرا كان ذلك على ما أذكر قبل سقوط شاه إيران .. أعطاني أحد زملائي كتاباً مقطوعاً غلافه ؛ لأن (سي ، أي ، إى) ، المخابرات الأمريكية تبحث عنه وقامت بتمشيط سويسرا في ٢٤ ساعة لإعدام أى نسخة . وقد أعطاني فرصة لقراءته في أربع ساعات . كان الكتاب يتعرض لما يحدث في نهاية هذا القرن وكاتبه كان أحد أعضاء البنتاجون ، وكان عضواً في وفد القمة بين الرئيس الأمريكي والسوفيتي في ذلك الوقت .. وفي الفصل الأخير من الكتاب وجدت هناك خريطة .. وليس عليها أثر للكويت على الإطلاق .. وشاهدت دولة صغيرة في الشمال - وهي مناطق البترول في العبيدات - مكتوب عليها الدولة البترولية العالمية وأعلاها أعلام الأمم المتحدة . لقد كانت هذه رؤية مستقبلية لنهاية القرن ، متفق عليها بألا يكون وجود لدولة الكويت ويبدو أنه كان يتم البحث عن عميل ليقوم بهذا المخطط ويتم السيناريو .. وقد كان ..) مجلة (صباح الخير) بتاريخ ١٤١١/٢/٣٠ هـ .

٧ - وأخيراً نذكر مقالة للسفير الأمريكي السابق في السعودية (جيمس أكينز) ، نشرتها صحيفة لوس أنجلوس تايمز بعنوان « الآن ومع تواجد القوات الأمريكية حول حقول النفط ، هل ندع الفرصة تفوتنا ؟ بدت هذه الفكرة جنونية في عام ١٩٧٥ م ، ولكن إحيائها يمكن أن يكون في تجاوز الترحاب الذي تلقيناه من الملك فهد »

يقول : « في شهر يناير من عام ١٩٧٥ م ، نشرت صحيفة (كومنتري) وهي نشرة يصدرها المحافظون الجدد ، مقالة تقترح غزو المملكة العربية السعودية وذلك كحل لمشكلة العرب الأزلية ، ولمشاكل الولايات المتحدة الأمريكية الاقتصادية ، وتلت تلك المقالة العديد من المقالات الثائرة والتي اقترحت الاستيلاء على حقول النفط في شبه الجزيرة العربية بداية بالكويت وانتهاء بدبي (الإمارات) ومن ثم استغلال النفط إلى آخره وفي غضون خمسين عاماً - أو ما شابه ذلك - تعود الممتلكات لمالكيها الأصليين » (أي بعد استنزاف النفط كله !) .

ثم يقول : « وبرغم من ذلك ، فهناك البعض في حكومة (بوش) والذين سوف يشيرون إلى أن الوقت ملائم الآن أكثر مما كان عليه الحال في عام ١٩٧٥ م وذلك على الأقل على مستوى احتلال عسكري لحقول النفط السعودية » .

ويقول « إنني لست المراقب الوحيد والذي يملك دراية واسعة في هذا الميدان ولديه القناعة بإن صدام حسين لم يكن ينوي مهاجمة المملكة العربية السعودية في أوائل الشهر الماضي ، إن ذلك أمر غير منطقي ومع ذلك فلقد قام وزير الدفاع الأمريكي (ديك تشيني) بإقناع الملك فهد بأن حدوث مثل ذلك الهجوم على المملكة العربية السعودية أمر وشيك الوقوع ، ولدرجة أنه استطاع أن يقنع المملكة العربية السعودية بالتخلي عن سياسة معارضة وجود قوات عسكرية أمريكية . إنني أشك في أن الملك فهد كان يتصور وجود ١٠٠,٠٠٠ من الجنود الأمريكيين ، وربما ضعف هذا العدد ، متواجدين على أرض المملكة العربية السعودية ولمدة غير محدودة

ولقد اتسعت مظلة الحماية الأمريكية منذ ذلك الحين لتشمل دولة

وإذا لم يتم التخلص من صدام حسين ، فإنه سيمثل خطراً محتملاً على المملكة العربية السعودية ، وخطراً مؤكداً على أسرة آل سعود ، وذلك إذا ما انسحبت القوات الأمريكية من المنطقة ، لذلك فمن المحتمل أن يكون وجود القوات الأمريكية في المنطقة أمراً مرغوب فيه ولفترة غير محدودة ، وسواء كان ذلك الوضع مرضياً للجيش وللشعبْ السعودي فإن ذلك يظل أمراً آخر

إن هؤلاء الذين عملوا والذين يعملون حالياً في الحكومة الأمريكية ، ومن ضمنهم (كيسنجر) الذي كان جاداً في موضوع احتلال آبار النفط في عام ١٩٧٥ م ، لابد أنهم يرون الآن عدم ترك هذه المصادر الغير عادية بعد أن أصبحت تحت سيطرتنا » .

ثم يقول : « وهناك خطة أكثر خيالية تتمثل في تدويل جميع الدول العربية المنتجة للنفط ، وبذلك يمكن تصحيح أحد الأخطاء الإلهية والمتمثلة في وضع هذه الثروة الثمينة في مكان لا تستحقه .. » !! قاتله الله وأخزاه .

* * *

٢ - د : وبعد .

الآن وبعد أن استعرضنا القضية من بدايتها وبجذورها وخططها وإرهاصاتها وإخراجها ، أتظل المسألة مسألة استعانة كما فهم المشايخ والإخوان الأفاضل أصحاب الرأى الأول ؟

وإذا قال قائل - على ضوء ما سبق - أن استدعاء الحشود الغربية أو إقرارها ، كان تهيئة لعدو مترصد يتحين الفرصة لدخول المنطقة ويتلهف لذلك ، ولم يخف عداوته وشراهته وأطماعه ، أفيكون مخطئاً ؟

(هذا بغض النظر عن كون السبب المباشر عدواً آخر لا جدال فيه !) .

ودفعاً للّبس أقول : إن بيان هذه الحقيقة الجلية لا يعني بالضرورة اتهام المستدعي ، أوَ الموافق بالتواطؤ مع الأعداء[1]، فأنا أقول جازماً : إنه لا يوجد حكومة في العالم تريد أن يكون للقوى الدولية الكبرى تدخل في شؤونها أو وجود في أرضها ، لأن ذلك يعني المزاحمة على السيادة ، حتى الحكومات التي أقيمت بمعونة القوى الكبرى وتخطيطها تسعى متى ما استطاعت إلى الاستقلال عنها والتخلص من وصايتها ، أو تتشوف إلى الانفراد بالزعامة فكيف بغيرها من الحكومات ؟

وهذا الملك حسين صنع الانجليز عرشه بأيديهم ، وحموه وأعانوه أكثر من مرة على مناوئيه ومع ذلك لا يحب أن يسمع من أحد قوله : إن الانجليز مشكورون على هذا الإحسان والإعانة !!

ولهذا أسفت جداً لما قاله بعض المشايخ من كلام كهذا ، ظانين أنهم يدافعون عن الحكومة ! ووصل الحال إلى أن بعضهم قال لا تدعوا على

---

(١) مع تعدد وقوة الوثائق التي ذكرها المؤلف سالفاً ، لا نرى إنكاراً على من اتهم المستدعي بالتواطؤ. الناشر

الأمريكان ، بل البعض دعا لهم !!!

وهؤلاء المشايخ نسوا وأنسَوا الأمة المخاطر المحدقة ، وأظهروا الحكومة بمظهر الراضي المطمئن لما فعل ، ولا أحسب هذا إلا ظناً منهم لم يبنوه على سماع ويقين ، وعلى كل حال فأنتم أولى الناس وأجدرهم بمعرفة الحقيقة نصاً ومباشرة ، وإن كان الجواب ما أعتقده ، فالواجب تنبيه هؤلاء إلى خطر وخطأ ما يقولون !!

وأعود لأقول : ليس في بيان الحقيقة اتهام لهذا أو ذاك ، وإنما هو تجربة كبرى ، وأزمة عظيمة لابد من دراستها بتجرد ، وكل منا راعٍ وكل راعٍ مسؤول عن رعيته ، وكلنا على ثغرة ، والله الله أن يؤتى الإسلام من قبله .

إن الأمر أكبر من أن يكون اتهاماً يلقى على عاتق جهة ما وتنتهي القضية ، كما هو أكبر من أن يكون خلافاً فقهياً يقال فيه أخطأ فلان وأصاب فلان ، وإن الاكتفاء بالفتوى أو إبداء الرأي – تأييداً أو مخالفةً – تقصير بالغ وتخلٍ عن الواجب فالأمة الآن بين فكّي هلاكٍ ومضيعةٍ ، أحدهما صدام صديق الأمس الذي أعاننا على إيران والآخر دول الصليب وحواشيها صديقة اليوم التي نطمع أن تعيننا على صدام ولا نأمنها إلا كما أمِنّا صداماً من قبل !

وإنه لمما يؤلمني ويؤرقني ليل نهار أن تتحول القضية إلى جدل فقهي بعيد عن الواقع ويصوّرها بعض الناس على أنها خلاف بين هيئة كبار العلماء وفلان وفلان !!

ونتناسى المصيبة ونتغافل عن الكارثة التي لا يجوز أن نختلف في مسؤوليتنا تجاهها ، ولهذا فإنني أطالب أطراف القضية الخلافية بالكف عن ذلك الجدل العقيم والانصراف للعمل الدؤوب للمرحلة الراهنة ، وقد بدأت بنفسي وأعلنت عن موافقتي لما ورد في فتواكم ، [بشرط تقييدها بالضوابط

التي ذكرها بعضكمَ كما جاء في محاضرات فضيلة الشيخ (محمد بن صالح العثيمين) ، وسكتُّ عن رأيي الخاص الذي فيه تفصيل لا يتسع له المقام] أعني من الناحية العلمية المجردة أما من جهة الواقع ، فالمناط مختلف جداً ، وعلينا معرفته ومدارسته والخروج بما يبرىء الذمة ، ويسقط المؤاخذة ، ويدفع عذاب الله عنا

إن الأمر الآن والله جد خطير ، ويجب على كل فرد من هذه الأمة أن يتجرد لله وأن ينسى مركزه ومنصبه ويستعد لقبول الحق أياً كان قائله

فنحن كركّاب سفينة يهددها الغرق ، ولن يقتصر الهلاك على بعض دون بعض (والتعتيم والتخدير أو السكوت والتناسي جناية على الجميع) يجب أن ندرس المشكلة - أبعادها ومخلفاتها - بكل وضوح وصدق ، ونستعرض احتمالات الموقف ونضع لكل احتمال حله المأخوذ من مصدر الهدى والنجاة - كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين - .

ولخطورة القضية وتشعبها ، ولضرورة تكامل الحل وتحقيق مبدأ الشورى فيه أرى أنه لابد من أن تفرغ لكل جانب منها مؤهلين مخلصين يدرسون ما يوكل إليهم دراسة متأنية موثقة عميقة ، ومن ذلك مثلاً

١ - تخصيص مجموعة من المؤهلين ويكون من بينهم قادة عسكريون لدراسة مشكلة الضعف المخيف الذي فوجئنا به في جيشنا ، أهو حق أم باطل ولماذا ؟ وكتابة صورة صادقة مستفيضة عنه

٢ - تخصيص مجموعة أخرى مماثلة ؛ لدراسة أفضل وسيلة لاستقلالنا بالدفاع عن أنفسنا ، وهي خطوة للمرحلة الواجبة التي هي جهاد الطلب بإذن الله !!

« وأرى أنه يجب عليكم يا أصحاب الفضيلة وأنتم السلطة العلمية في البلد ، أن تنصحوا السلطة التنفيذية بأنه لا خطر على النظام من قوة الجيش فإنه ليس بقوة الجيش يقوى احتمال غدره بالقيادة السياسية ، بل بحسب التربية والمنهج ، فإذا كان جيشاً جهادياً وحكومته راشدة جهادية فلا يمكن أن ينقض عليها !!

وأنه لا يجوز شرعاً كما لا يصح عقلاً وسياسةً أن يكون البديل عن جيش مسلم من أبناء البلاد المخلصين جموعاً متنافرة لحكومات متآمرة !! » .

وإنها لحقيقة مؤسفة أن نقول إن ما يسمى التطوع لا يعدو أن يكون امتصاصاً للمطالبة وتفريغاً لشحنة التأثر إذ كان المتوقع أن تتحول مدننا وقُرانا وهجرنا إلى معسكرات دائمة ، (وأسوأ من ذلك أن يُفتح باب التطوع للنساء الذي استغله الهدامون في الداخل والخارج ليغمسونا في غضب الله واستحقاق عقابه أكثر فأكثر نعوذ بالله من الخذلان) .

٣ - ومما يجب وضعه في الحساب كيف يكون التصرف حالما تظهر هذه الحشود غدرها وخيانتها ، وماذا نفعل لو قررت - لاقدر الله - تقسيم البلاد أو تدويلها أو تغيير نظامها السياسي والاجتماعي ، أو فعل أي شيء في جعبتها الملآى بالحقد والتآمر ؟ أنبكي حينئذ ونقول صَدق من حذّرنا .

إن احتلال الكويت - تلك القشة التي قصمت ظهر البعير - سينتهي بشكل ما وحينها ستلتفت هذه القوى لتصحيح وضعنا نحن ، كما ألمحوا مراراً وصرحوا ، فماذا أعددنا لذلك ؟ وهذا الإعداد لن يكلفنا ولن يضيرنا فإن كفى الله المؤمنين القتال فللّه الحمد والشكر ، ولنا منه الأجر إن شاء الله .

وإن كانت الأخرى كان الجواب حاضراً والرد سريعاً .

٤ - يجب أن ندرس وبكل صراحة ووضوح أن بلادنا قد تكون في أي

لحظة ميداناً لحرب مدمرة لم تشهد الدنيا لها نظيراً - حرب كيماوية وبيولوجية وربما نووية - ونرى هل تستحق إعادة حكومة ابن صبّاح التي لا تحكم بما أنزل الله كل هذا ؟

٥ تخصيص مجموعة أخرى بينهم اقتصاديون وخبراء تخطيط مؤمنون (لا علمانيون) لدراسة أثر هذه الأزمة على مستقبل التنمية في بلادنا ، والإفادة من ذلك لسحب الودائع المخزونة في بنوك الغرب ، وحث الأمة على الترشيد وترك الإسراف والتبذير اللذين لا يزالان كما كانا قبل الأزمة التي نخشى أن تطول فتستنفذ كل شيء !

إن صداماً نهب ثروات الكويت غصباً وعلانية ، ونحن سوف تستنفذ هذه المشكلة ثرواتنا رضاً وطواعية ، وسوف تتعطل حتماً مسيرة التنمية أو تقل بشكل حاد إلا إذا تداركنا الأمر بإذن الله ، فمثلنا في هذه الحال كمثل رجل اقتحم الذئب زريبة جاره وأخذ يعبث فيها ، فخاف الرجل أن يقتحم زريبته فاستدعى الذئاب والأسود والنمور وسائر الوحوش وأسكنها زريبته وأخذ يطعمها من غنمه وهي لن تخرج إلا إذا خرج الذئب من زريبة جاره ، وجاره قد هرب ، والذئب لن يخرج ، ولو أنه اشترى ببعض غنمه بندقية لحرس غنمه بنفسه !!

٦ لم لا يضع علماؤنا الأجلاء مبادرة سلام تُخفف مصيبة الكويتيين وتضمن شيئاً من حفظ ماء الوجه - كما يقولون لطاغية العراق وتضمن رحيل جيوش الصليب عن بلادنا ؟ وعلى الجملة أترك الرأي فيها لكم

أصحاب الفضيلة

إن لم تدرسوا أنتم وتشكلوا اللجان للدراسة وتتابعوا النتائج ، فمن يقوم بهذا الواجب إذن ؟ ومن ينصح للأمة لاسيما وأن غيركم إذا نصح احتجوا

عليه بسكوتكم ؟

أما قول بعض الناس إن هذا ليس من شؤون العلماء فعجب والله أيما عجب ، ومن شؤون من هي إذن ؟

أنتركها للرويبضات من الصحفيين ، والمتملقين من الشعراء ، وعُمي البصيرة من العلمانيين ؟ أهؤلاء من شأنهم يوماً أن يسودوا الصحف ويملأوا الأجواء بالاقتراحات والحلول وأنتم أصدرتم التأييد وسكتم !! .

كل الأطراف تتكلم عن الأزمة حتى (الفنانين والفنانات) ، والساكتون أو المُسْكَتون هم أهل العلم والدعوة إلا من أيد الواقع كما هو دون الإشارة إلى أخطاء الماضي أو واجبات المستقبل .

فتداركوا - وفقكم الله - هذه الأمة ، وتداركوا سمعتكم ، وسمعة دعوة التوحيد التي نالها ضرر بالغ في كل مكان بسبب هذا الموقف ، ولا تحقروا أنفسكم عن عمل عظيم يرفعكم الله به في الدنيا والآخرة ، فأنتم علماء خير الأمم وعلى منهج السلف تسيرون ولله الحمد ، والغرب نفسه ينظر إليكم وإلى هذه البلاد نظرة خاصة للغاية ، ويحسب لكم ما لا تظنونه في أنفسكم من المكانة والتأثير ، وأذكر هنا مثالاً على ذلك : ما أورده (جوزيف سيسكو) مساعد وزير الخارجية الأمريكي سابقاً وعضو « الهيئة الكونية »[1] اليهودية ضمن أهداف التسوية الأمريكية في الشرق الأوسط .

---

(١) هي لجنة يهودية عالمية ، تعد بمثابة الحكومة اليهودية السرية للعالم الغربي وتوابعه ، أسسها (ديفيد روكفلر) كبير المرابين في العالم سنة ١٩٧٣ ، ومن أهم مؤسساتها شركة (بيكتل كورد) التي يتخرج منها كبار الساسة الأمريكيين ومنهم (واينبرغر) وزير الدفاع السابق ، ومنها تخرج (بوش) أيضاً و (بيكر) . (انظر الفكر الاستراتيجي ٣/٧٢-١٩٨٢)

(الهدف الثاني ونصه)

« يجب أن تكون تسوية شاملة تقلل من احتمال قيام الغليان داخل العربية السعودية نفسها » (الفكر الاستراتيجي ٣ / ٧٩)

فقد خص هذه البلاد دون غيرها من دول المنطقة ، ومثله ما عبّر به أحد محلليهم في مقابلة له في قناة (CNN) تعليقاً على دعوة صدام للجهاد « نحن لا نخاف من جيوش صدام وإنما نخشى من الأصوليين في الجزيرة العربية والجزائر ومصر »

وإنني إذ أقدم هذه الرسالة لتكون - إن شئتم - ورقة عمل لدراسة أسباب الأزمة وطبيعتها ، لأضع أيضاً بعض العناصر المهمة بين أيديكم ، وقد وردتني في شكل تساؤلات من كثير من المخلصين وعلى ضوئها ، وعلى ما تعلمونه من شروط الفقهاء لجواز الاستعانة بالكفار (مثل أن يؤمن غدرهم وأن يكون حكم الإسلام هو الظاهر عليهم ، وأن نستطيع مقاومة الفريقين لو اتفقا علينا أو أن تقتصر الاستعانة على الخدمة ويكونون للمسلمين كالكلاب) نستطيع الوصول إلى الحقيقة التي تبرأ بها الذمة إن شاء الله :

١ هل من الاستعانة أن يكون المستعان به جيوشاً غفيرة ورايات كثيرة لدول عظمى طامعة ، تتحين الفرصة لاقتحام المنطقة منذ سنين ويصبح عددهم ثمانية أضعاف الجيش المستعين ، أما العُدَةُ والآلة فلا نسبة بين الفريقين فيها !!

٢ - هل من الاستعانة أن يصبح زعيم الجيوش المتحالفة (بوش) هو صاحب الأمر والنهي في القضية ، سلماً إن أراد وحرباً إن شاء ، وأن يرفض التنازل مطلقا مع رضى صاحب القضية (ابن صبّاح) به وكذا غيره من حكام المنطقة وربما قبل الصلح مطلقاً مع صدام ؟

٣ - كيف نوفق بين تقييد الضرورة زماناً ومكاناً ، وكماً وكيفاً ، وبين الواقع ؟

فمن جهة الزمن لا تحديد لهم ولا يحدده إلا هم ، والناس يعلمون أن الأمريكان يستأجرون المجمعات السكنية وغيرها بعقود طويلة ، هذا مع قولهم أن الحرب قد تنشب قريباً[1]. ومن جهة المكان هل تركوا مطاراً أو قاعدة عسكرية لم ينزلوها ؟ ومن جهة الكم يسمع الناس كلهم أنهم كل يوم في ازدياد ألوفاً مؤلفة ، والأمريكان وحدهم سيزيدون عن ٤٠٠,٠٠٠ ؟

ومن جهة الكيف هم أصحاب القضية وبيدهم زمام الموقف فلا يقال لهم كيف ، بل لا ندرى أيقبلون أن يستعينوا بالجيوش العربية ولو في بعض الأمور أم لا ؟

٤ - هل من الاستعانة أن يكون الجندي المسلم شبه أعزل ، والجندى الكافر المستعان به مدججاً بأحدث الأسلحة ، من رأسه إلى أخمص قدميه ويحسب الرصاصات على المسلم كلما دخل أو خرج ؟

٥ - هل من الاستعانة أو يتحقق ما خطط له الأمريكان منذ عشر سنوات ، وهو أن يكون للقوات السعودية والأمريكية قيادة مشتركة ونظام اتصالات موحد ونظام إنذار مبكر موحد بحيث أصبحتا وكأنهما شخصية معنوية واحدة ؟

٦ - هل من الاستعانة أن تقوم الجيوش المستعان بها بعمل المتاريس والاستحكامات على المنشأت البترولية وشبهها ويبنون قواعد عسكرية داخل المدن ولسان حالهم يقول : إنما نحرسها من أهلها ؟ ولا يهمنا من البلد إلا هي !

٧ - هل من الاستعانة ما صرحت به بعض دول الحلفاء الكبرى كفرنسا

---

(١) كتب المصنف هذا قبل بدء المعارك الحربية . الناشر

وروسيا من أنها لن تدخل الحرب إلا بموافقة مجلس الأمن الدولي ؛ أي دون نظر إلى رغبة دول المنطقة ورأيها ؟

٨ - هل من الاستعانة أن يصرح المستعان به بأن مهمته هي تغيير البلد المسلم المستعين لتصبح حياته على النمط الغربي سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ، وخاصة ما يتعلق بالمرأة ؟

واسمعوا إن شئتم إذاعة صوت أمريكا واقرأوا صحفها كل يوم تقريبا ؟

٩ - هل من الاستعانة أن تأتي إلى بلادنا جيوش لم نطلب نحن مجيئها وعونها وإنما طلبتها أمريكا ، حتى أن الدولة التي تتلكأ تؤنبها أمريكا والدولة التي تريد سحب جيوشها أو تبديلها تستأذن أمريكا ؟

١٠ - هل من الاستعانة أن يكون من أغراض دخول القوات المستعان بها في أرض الإسلام حماية أمن دولة اليهود كما صرح بذلك زعماء أمريكا (**وللعلم نقول إن القائد العام لجيوش التحالف نورمان شوارسكوف يهودي**) ؟

١١ - هل من الاستعانة أن تطالعنا صحافة الدولة المستعان بها كل يوم بانتقاص هذه البلاد ، وتحقيرها والسخرية من دينها وشعبها وعلمائها وحكامها وهو ما لم تكن تفعله بهذه الكثرة من قبل ، (ومن ذلك ما نشرت التايم في ٣ سبتمبر الماضي من أنهم علقوا شعاراً على أحد الخطوط السريعة في أمريكا يقول خذوا بترولهم واضربوا أدبارهم) ؟

١٢ - أيعقل أن يكون موقفنا أمام صدام ، أضعف من موقف إخواننا المجاهدين الأفغان أمام الروس ، ونحن أثرى بلد في العالم وشعبنا معدن الشجاعة في الدنيا وأرضنا قارة ؟ هذا وصدام لم يهاجمنا ، بل هو يردد أنه

لم يفكر في ذلك ، أما الروس فقد ملكوا البلاد كلها بالفعل وحاربوا بأسلحة الدمار المحرمة دولياً بكل أنواعها - ما عدا النووى منها - وكان مصيرهم ما يعلمه العالم كله ؟

١٣ - لقد استطاع المجرم صدام بناء أسوار هائلة من الرمال والحواجز والألغام تجعل اختراق الدبابات الأمريكية المتطورة صعباً للغاية ، أكان يعجزنا أن نفعل مثله لنصد به دباباته ؟ أما سلاح الجو فأستطيع الجزم بتفوق جيشنا فيه .

١٤ - ألم تستسلم عشرات الدبابات العراقية للمملكة ، ولولا الحواجز لتدفق المزيد ؟ فلو كنا صادقين مع الله معادين لأعداء الله ، فاضحين لحزب البعث ، مواسين لإخواننا المسلمين في العراق فيما يعانونه لأطمأنوا لنا ، ولما كان دخولهم حدودنا - لو أمر به صدام - إلا استسلاماً لنا بل ربما حولناهم إلى فاتحين للعراق محررين له من الكفر البعثي ؟

١٥ - وأخيراً نسأل أليس وقوع ما حذّر منه الناصحون ، وأخبر به الصادقون كما حذروا وأخبروا ، دليلاً على أن الرائد لا يكذب أهله ؟ فلماذا لا يتاح لهم فرصة المزيد من النصح والتحذير ؟

الخاتمـــة

أصحاب الفضيلة

كان موضوع هذه الرسالة كما رأيتم بيان الواقع لا بيان الحكم الشرعي – الذي أختاره وأرجحه فيه – ، مع أن كل ناظر منصف يعلم أنني متبع في رأيي للراجح من كلام الأئمة السابقين ، والقول الوحيد لمشايخنا المتأخرين ومنهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في كتابه نقد القومية العربية ، وفضيلة الشيخ صالح الفوزان في كتابه الولاء والبراء ، فضلاً عن فتاوى علماء الدعوة رحمهم الله أجمعين .

وكل علمائنا المعاصرين فيما أعلم يحرمون استقدام الكفار إلى جزيرة العرب عمالاً مستأجرين ، فكيف إذا كانوا حماة مستكبرين ، ولا ريب عند كل مسلم أن الله تعالى إنما بعث محمداً صلى الله عليه وسلم ليحارب المشركين لا ليحارب بهم ، وأمره أن يقاتل بمن أطاعه من عصاه ، وهذا هو الأصل القطعي في المسألة ، وكل نص جزئي يخالفه فلدينا جوابه ولله الحمد ، ومع ذلك فقد كررت القول ومازلت أقول بالفرق بين الفتوى من الناحية الفقهية الخالصة ، أي حكم الاستعانة بالمشركين – أياً كان القول فيها – وبين تنزيلها على الواقع ، أعني تجويز استقدام نصف مليون صليبي ويهودي إلى جزيرة العرب وهو ما نخشى – عياذاً بالله – أن يتحول إلى استكانة لأعداء الله لا استعانة بهم ، وقد بدت بوادر ذلك تلوح ، فقد يتفق من يقول بجواز الاستعانة المشروطة ومن يقول بالتحريم مطلقاً ومن يجيز ذلك للضرورة ، على أن الواقع ليس استعانة أصلاً وذلك بناءاً على معرفة الحال وتبين مناط

الحكم ، وهو ما أرجو أن تكون الرسالة قد أعطت صورة وافيه عنه ، والأمر إليكم بعد ذلك .

أما ما لا أعفي علماءنا منه بحال ، فهو بيان السبب الحقيقي في هذه المصيبة كما بيّن الله في كتابه وجرت به سنته في خلقه قديماً وحديثاً ، وهو أن ما أصابنا لم يكن إلا بما كسبت أيدينا واقترفنا من ذنوب وعصيان ، وخروج عن شرع الله ، ومجاهرة بما حرم الله وموالاة لأعداء الله ، وتهاون في حق الله ، وتقصير في دعوة الله ، اشترك في ذلك الحاكم والمحكوم ، والعالم والجاهل ، والصغير والكبير ، والذكر والأنثى ، على تفاوت فيما بينهم إلا من رحم الله ممن هم قائمون بالحق عرضة للبلاء ، غرض للسهام من عالم وداعية وناصح .

لقد ظهر الكفر والإلحاد في صحفنا وفشى المنكر في نوادينا ودعى إلى الزنا في إذاعتنا وتلفزيوننا ، واستبحنا الربا حتى أن بنوك دول الكفر لا تبعد عن بيت الله الحرام إلا خطوات معدودات ، أما التحاكم إلى الشرع – تلك الدعوى القديمة – فالحق أنه لم يبق للشريعة عندنا إلا ما يسميه أصحاب الطاغوت الوضعي الأحوال الشخصية ، وبعض الحدود التي غرضها ضبط الأمن (ومنذ أشهر لم نسمع شيئاً منها أقيم) ، ومع ذلك وضعنا الأغلال الثقيلة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وصفدنا الدعوة والموعظة بالقيود المحكمة ، وهذا من استحكام الخذلان وشدة الهوان ، ومن يهن الله فما له من مكرم .

وهكذا جنينا ثمرة الصراع ، الذي استغرق تاريخنا المعاصر كله بين مبدأين متناقضين هما :

١ – مبدأ دولة العقيدة التي تجعل الجهاد غايتها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفتها .

٢ – ومبدأ دولة الرفاهية التي تجعل الشهوات الدنيوية غايتها . والتغريب وسيلتها

وحين انحازت فلسفة التنمية وخططها إلى الأخير منهما و لم يبق للأول إلا شعارات إعلامية وهياكل تقليدية ، تتآكل مع الزمن كان لابد أن تقع السنة الربانية « سلط الله عليكم ذلاً لا يرفعه حتى ترجعوا إلى دينكم » ووقعت النازلة ، فارتجف منا كل قلب وذهل كل لب بعد أن كنّا منصورين بالرعب ، واستيقظنا فإذا جيشنا الذي كان أيام سيادة المبدأ الأول (قبل سبعين سنة) أكثر من ٤٠٠,٠٠٠ مجاهد ، وعجزت أمهر الاستخبارات العالمية عن اختراقه لا يتجاوز اليوم خُمس ذلك العدد ، وبينهم كثير من متبعي الشهوات ومضيعي الصلوات ، وأصبحنا نستجدي لحمايتنا أمم الأرض كافرها ومسلمها حتى دويلات أفريقيا الفقيرة .

هذا مع ما كنا فيه أيام الجهاد من الفقر والعوز ، اللذين كانا مضرب المثل ، في حين أن جيشنا الحديث يُنفق عليه – منذ ثلاثين سنة على الأقل – أكثر من ثلث ميزانيتنا الضخمة ، وربما سمعتم ما قيل من أن ميزانية الجيش السعودي خلال هذه السنين أكثر من ميزانية دولة إسرائيل كلها ، ومع ذلك فلدى الدولة اليهودية مليون مقاتل ، وعشرون مفاعلاً نووياً ، وقد ضربت تونس وبغداد وأوغندا وهددت بضرب إسلام أباد ، واحتلت جيوشها خمسة أضعاف مساحة بلدها الأصلي . أفيكون المغضوب عليهم أحرص على الموت وأخلص لدينهم وأمتهم وأحفظ لأموالهم منا ؟! .

عند حلول الكارثة ظن الناصحون بالأمة خيراً ، وقالوا : ستُظهر التوبة وتُعلن الضراعة وتخرج بقضها وقضيضها تجأر إلى الله في الصعدات ، وتعلو كلمة الحق ويخرس دعاة الفجور ، وتتحول المدن والقرى والهجر إلى

معسكرات جهادية ، ويبرز العلماء إلى الميدان ، ويقودون مسيرة الجهاد ويتداركون الموقف ، ويحاسبون المفرّط وينبهون الغافل وينذرون المعرض ، وتتحول نفقات اللهو واللعب إلى الجهاد والمجالدة

ولكن هذا الظن قد خاب إذ سرعان ما عادت السكرة واستحكمت الغفلة ورانت الذنوب ، وضاع صوت النصح بل حورب ومنع .

فيا أصحاب الفضيلة هذا يومكم وهذا واجبكم ، والله ثم المؤمنون معكم . وعليكم بعد الله ينعقد الأمل ، ولازالت الأمة ولله الحمد لكم سامعة ولنصحكم مستجيبة ، فقودوها على بركة الله واستخبروا الصادق منها يخبركم ، واستشيروا المخلص يصدقكم ، وأعيدوا النظر في الواقع وقارنوه بما ذكره الفقهاء عن الاستعانة تجدوا البون الشاسع

وإنها لنصيحة أردنا بها إبراء الذمة ، وإسداء المشورة نضعها بين يدي مشايخنا الأجلاء وعلمائنا الأفاضل ، مكررين ما قلنا من قبل: ما كان من خير وصواب فخذوه وما كان من خطأ وعيب فاستروه واجعلوا هذا سراً بيننا وبينكم والله يحفظكم ويرعاكم

الوثائق

«قد تقتضي المصالح الحيوية للولايات المتحدة وغرب اوروبا واليابان في حقول النفط السعودية عملاً عسكرياً إذا تعرضت مصالحنا للتهديد . فإن ذلك يتطلب تنظيم قوات ضاربة سيكون هناك تأييد قوي لها في الكابيتول هيل».

السيناتور فرانش تشيرش، في النيويورك تايمز ٢ ديسمبر «كانون اول ١٩٧٩.

عناصر قوة الانتشار السريع

قوة الانتشار السريع «في تنظيمها الحالي» لا تملك قوات مفروزة لها ثابتة بشكل دائم، لكنها تملك قيادة أركان . قوة العمل المشتركة للانتشار السريع (ق ع م ا س). وتضم بحقوق مسحوبة وحدات منتخبة من أسلحة الجيش والبحرية والمارينز والجو . وهذه الوحدات تشكل مخزناً للقوات قتالية يمكن سحبها بواسطة (ق ع م ا س) في تشكيلات فرعية حسبما تمليه الطوارئ . وبين الوحدات التي يمكن تخصيصها لقوا الانتشار السريع هناك:

الجيش

- الفرقة ٨٢ المحمولة جواً ، قاعدة براغ ، كارولينا الشمالية .
- الفرقة ١٠١ المحمولة جواً (الهجوم الجوي) فورت كامبل ، كنتاكي.
- فرقة المشاة الرابعة والعشرون (مؤللة) فورت ستيوارت ، جورجيا.
- فرقة المشاة التاسعة ، فورت لويس، ولاية واشنطن.
- كتيبة فرسان القتال الجوي السادسة ، فورت هورد.
- الكتيبة المدرعة ١٩٤ فورت نوكس، كنتاكي.
- كتيبة المدفعية المضادة للطائرات الحادية عشرة ، فورت بلس، تكساس.
- مجموعة القوات الخاصة الخامسة وكتيبتان من الجوالة.

سلاح الجو

- الجناح القتالي التكتيكي السابع والعشرون (طائرات ف ـ ١١١) قاعدة كانون الجوية ولاية نيومكسيكو.
- الجناح القتالي التكتيكي التاسع والاربعون (طائرات ف ـ ١٥) قاعدة

هولومان الجوية، ولاية نيومكسيكو.

- الجناح القتالي التكتيكي ٣٤٧ (طائرات ف ـ ٤) قاعدة مودي الجوية، ولاية جورجيا.
- الجناح القتالي التكتيكي ٣٥٤ (طائرات أ ـ ١٠) قاعدة ميرتل بيتش، ولاية كارولينا الجنوبية.
- الجناح القتالي التكتيكي الثالث والعشرون (طائرات أ ـ ٧) قاعدة إنغلند الجوية، ولاية لويزيانا.
- جناح الإنذار والسيطرة المحمول جواً ٥٥٢ (طائرات إي ـ ٣ أ أواكس).
- قوة النقل الاستراتيجية، الفرقة الجوية السابعة والعشرون (طائرات ب ٥٢ ضد طائرات الصهريج ك سي ـ ١٣٥، وطائرات الاستطلاع س و ـ ٧١ ويو ـ ٢ رس)، قاعدة مينوت الجوية ، نيفادا.
- أسراب مختارة من قيادة النقل الجوي العسكري (طائرات سي ـ ٥ أ، و سي ـ ١٤١، و سي ـ ١٣٠).

مشاة البحرية (المارينز)

- قوة مارينز برمائية كاملة تتألف من فرقة مارينز ، جناح مارينز جوي وعناصر إسناد.
- كتيبة المارينز البرمائية السابعة ، قاعدة المارينز توئني ـ ناين بالمز، ولاية كاليفورنيا (المعدات الثقيلة لهذه الوحدة مخزونة في «سفن شحن للترضيع المسبق» في المحيط الهندي)

البحرية

- ثلاث مجموعات حاملة طائرات (كل مجموعة تتألف من حاملة طائرات إضافة الى ٣ ـ ٥ طرادات ومدمرات وفرقاطات).
- ثلاث مجموعات برمائية جاهزة تتألف من حاملات مروحيات هجومية وسفن هجومية برمائية، وسفن إنزال دبابات ، وزوارق إنزال اخرى.

المصادر :

Aviation Week Space Technology عدد ١٦ ـ شباط ، فبراير ١٩٨١ ص ٨١ ـ ٨٩ من (شهادة الجنرال ب .إكس كيلي، أمام اللجنة الفرعية لقوى البحار وتقل القوة التابعة للجنة الخدمات العسكرية في مجلس الشيوخ، ٩ آذار ، مارس، ١٩٨١).

... وفي ١٩ ... [illegible] ... التحرير ...

أعدت هذا الاستنتاج دراسة أحدث قام بها قسم خدمات الأبحاث في الكونجرس ١٩٧٥ التابع لمكتبة الكونجرس . أعد هذه الدراسة جون م . كولنز وماوك ر . كلايد بناء على طلب ... الكونجرس الذين أرادوا أن يعرفوا إذا كان لدى أمريكا القدرة العسكرية على الاستيلاء على حقول النفط السعودية وتشغيلها ردا على حظر النفط أو أي وقف آخر في الانتاج . ويخلص الكاتبان بعد عرض المشاكل التي ذكرها ... بورشغريف إلا أنه مع سيناريو «الأفضل احتمالا» (أي بدون تورط سوفييتي)، فإن القوات الأمريكية لن تكون كافية للاستيلاء على المنشآت الأساسية المهمة وحمايتها ... القوات العسكرية المطلوبة للاستيلاء على مناطق على شواطئ الخليج الفارسي ونقلها ، يمكن أن يتدمر أمر مهابط المطارات المليئة بالحفر وتسهيلات المواني المخربة ، ولكنها لن تتمكن من أن تحافظ على منشآت البترول وتشغيل النظام وبإمكان المخربين في أثناء ذلك ... أن يعيقوا ، بل وربما يوقفوا تدفق النفط عند منابعه في الحقول ، أو عند نقاط أساسية في خط الأنابيب أو عند المرافئ في نهاية الخط أو بعد أن تكون الشحنات قد شحنت إلى الناقلات في البحر»[٢٨].

كان لمثل هذه الدراسات التي كثر نشرها في الصحافة العسكرية تأثير محبط على المزيد من صياغة مشاريع التدخل . ولكن الحماسة للاستيلاء على النفط العربي ظلت قوية ، وهناك كثير من الدراسات التي تشير إلى أن دي بورشغريف وكولنز وماوك قد قللوا من تقدير القدرة الامريكية للتغلب على هذه العواقب . لذا فمن الحيوي ... أن نذهب إلى أبعد من قضية الكفاية لنتساءل عما إذا كانت هناك أسباب أخرى لمعارضة التدخل في منطقة الخليج .

حساب المخاطر والمنافع

أولاً ، حتى لو كان التدخل النفطي ناجحاً فهل يبرر ذلك كل المخاطر والتكاليف المتضمنة ؟ لنفترض أن قوات الولايات المتحدة استولت على منشآت النفط السعودي سليمة كاملة وأن هناك أفراداً امريكيين متوفرين ليحلوا محل عمال النفط العرب . وحتى لو أن القوى المعادية الأخرى (الاتحاد السوفيتي والعراق وسورية) قد تم ردعها عن التحدي المباشر للاستيلاء الامريكي ، فإن مشاكلنا العسكرية تكون في بدايتها فحسب . فلحماية حوالي ٧٠٠ بئر و٧ آلاف متر من خط الأنابيب المعرض للتخريب

٦٠

يحتاج الأمر إلى قوة احتلال واسعة من عدة فرق ، وربما سيحتاج الأمر إلى أكثر من الرجال ... الذين يتوجب إمدادهم من قواعد على بعد آلاف الأميال في المحيط الهادي والأطلسي . (مجرد تقديم ماء الشرب لمثل هذه القوة سيبين أنه مهمة صعبة وربما مهمة مستحيلة) .

وبالاضافة إلى ذلك لا بد من حماية الناقلات التي ستسافر إلى موانئ بعيدة عبر حقول الألغام في مضيق هرمز وبحر العرب ، وسيحتاج الامر إلى حماية مستمرة ضد هجمات الإرهابيين في الاماكن الاخرى . كل ذلك يتطلب جهداً يوازي (في المال والرجال) تورط الولايات المتحدة في فيتنام[٢٩].

وسيكون ذلك مجرد بداية : فكل بلد عربي من أي توجه ايديولوجي كان ، سيضطر إلى مواجهة اجراء الولايات المتحدة بغرض الحفاظ على الباقي من واردات النفط ، ومن خلال الحرب الاقتصادية (باغراق أسواق النقد في العالم بالبترو دولارات الفائضة) وبأعمال عسكرية محتملة ضد ممتلكات أمريكا وحلفائها في الأماكن الأخرى . وستتطلب حماية كل هذه المصالح تعبئة قوات بطريقة لم يشاهد لها مثيل منذ الحرب العالمية الثانية . وقد يتطلب الامر سحب وحدات الخط الأول من أوروبا واليابان وكوريا وغير ذلك من المواقع الاستراتيجية تلبية للحاجة الفورية للرجال . ومن ثم تتعرض الولايات المتحدة لهجمات في أماكن أخرى . وفي مرحلة ما قد نضطر لاستعمال الاسلحة النووية دفاعاً عن قوة أمامية أو اخرى أو حليف محاصر ، ومن ثم نخاطر باندلاع حريق نووي عالمي ولا يمكن لأحد أن يتنبأ بعدة الصدامات مثل : الاضرابات والتخريب والإرهاب والهجمات على طريقة اضرب واهرب ، وحرب العصابات ، وهي قد تستمر لسنوات مستنزفة اقتصادنا ومبعدة عنا حلفاءنا .

وبالاضافة إلى ذلك ، ونظراً لطول أمد المخاطر والتكاليف يتوجب أن ندرس تأثير مثل هذا العمل على المجتمع الامريكي . فبدلاً من تعزيز القيم الامريكية التقليدية في التعاون والصداقة مع الآخرين قال مؤخراً نائب وزير الخارجية السابق جيمس هـ . نويس ، إن المتدخلين سيرجعون بنا إلى الوراء ، إلى عصر الامبريالية حيث ستتصرف الولايات المتحدة ليس كشرطي للعالم إلى حد كبير وانما كقيصر العالم الامبراطوري الذي يرسل قوات في حملات لتأمين المصادر الطبيعية الاستراتيجية أو الطرق الثابتة عندما يسيء الوطنيون استعمال قوتهم المحدودة »[٣٠] . مثل هذا الموقف قد تكون له جاذبية بالنسبة للمغامرين من أمثال نكر والفونتوس ، ولكنه سيثبت انه غير مستساغ بشكل

٦١

قليل جداً والهدف واضح . ولقد تنجم عن هذه العملية اخطار حقيقية ، لكن من الافضل أن نشعر بالحنق ونحن أعداءنا ٢٠٠ مليون برميل من النفط .»[١٠١]

وأوردت صحيفة Sunday Times ، في عددها الصادر بتاريخ التاسع من شباط (فبراير) ، سيناريو مشابها ، نقلته عنها نشرة Arab Report and Record الوجيه التالي :

> اعتبر مجلس الامن القومي في الولايات المتحدة خطة العملية لغلق سوريا الثالثة وضعتها وزارة الدفاع لغزو حقول النفط السعودية في حال نشوب حرب اخرى في الشرق الاوسط ينجم عنها خطر تعطل عربي جديد . ولقد اوردت هذه الخطة صحيفة Times بعددها الصادر بتاريخ التاسع من شباط (فبراير) ، وقالت ان هذه الخطة ، واسمها بالشيفرة «الظهران - الشهر الرابع» ، قد وضعتها البنتاغون لهجوم اميركي على حقل الغوار النفطي الذي يحوي ٤٠ في المئة من احتياطي العالم المعروف من النفط . وتقرر هذه الهجوم باسم كتائب مشاة محمولة جوا من قاعدتها في ولاية نورث كارولينا ، ومسانة جوية ، الى الظهران في الخليج من طريق القاعدة الجوية الاسرائيلية في «حتسريم» . وستنزل كتائب المشاة على حقل النفط في الظهران ، حيث تصد الى اجلاء الرعايا الاميركيين ، ومن ثم تتابع سيرها الى الداخل حتى حقل الغوار ، بعد ان تستولي على ارصفة الزيتي ، ومستودعات التخزين في رأس تنورة . وبعد ذلك بثلاثة ايام ، تصحبها فرقة مشاة بحرية قوامها ١٨،٠٠٠ رجل يتم ارسالهم الى الخليج بطريق البحر .»[١٠٢]

وساهم في هذه الحملة ايضا الكاتب والتر غودمان ، ففي مقالة بعنوان «صيد حلال» ، نشرت في مجلة New Leader ، كتب يقول : «واذا ما نجح [التدخل العسكري في الخليج] ودخلت القوات ، واستولت بسرعة على الحقول ، وأعادت انتاج النفط بسرعة ومن دون مقاومة ، فاني اظن ان استجابات الرأي العام سوف تشير الى تأييد الرأي العام الواسع لمثل هذا العمل .» ومضى يقول : «ولسوف نرى ، وفقنا ، انغماسا في الشعور بالصداقة للاسرائيليين الذين سيصبحون حينئذ - ثقنا ام ابينا - حلفاءنا الرئيسيين في المنطقة . وعلى الصعيد الداخلي ، سوف يجمد تفاني المحاربين الاميركيين والصهيونيين الى تبادل الرحلات التذكارية في ولائم وطنية .»[١٠٣] ومن جهة اخرى ،

---

[١٠١] Miles Ignotus, "Seizing Arab Oil," Harper's, March 1975, p. 45 and ff.

[١٠٢] ARR, February 1-14, 1975, p. 116.

[١٠٣] Walter Goodman, "Fair Game," New Leader, March 17, 1975, p. 15.

٣٨

ص ٣٨ (ملحق ٢) من كتاب النفط العربي والتهديدات الامريكية بالتدخل / مروان بحيري ١٩٨٠ ٣

واذا لم ينجح هذا السيناريو وأصبحت الحالة العسكرية مرتبكة ، «فقد يسوء الأمر بالنسبة الى اليهود هنا في الداخل .»[١٠٤]

وقد تصدى آي . اف . ستون ، وهو مفكر يهودي لامع ومن منتقدي اسرائيل ، بهذه الصلة الوثيقة بين المواقف المؤيدة لاسرائيل وبين التدخل الاميركي للاستيلاء على النفط العربي ، والتي عبرت عنها الصحافة الصهيونية ، فقد حذر ستون يهود اميركا من اقتراح حلول حربية ، او من اذكاء حملات كراهية ضد العرب . وقد انتقد ما جاء في مقالة تكر ، فكتب يقول : «مجلة Commentary تصدرها اللجنة الاميركية اليهودية . وليس ثمة من خطر ، على الوحدة الاميركية وعلى مستقبل اللجنة الاميركية اليهودية وعلى اسرائيل بالذات ، اكبر من خطر ما قد يبدو كأنه ضغط يهودي يرمي الى زج الولايات المتحدة في حرب مع العرب للاستيلاء على اغنى مواردهم .»[١٠٥] والجدير بالذكر ، ان غودمان كتب بدوره مقالة تناول فيها مقالة ستون بالنقد .[١٠٦]

ج - النقد الخلقي والعملي للتدخل

وعبر البعض في الولايات المتحدة عن آرائه بلباقة ، فأبدى تحفظاته تجاه موضوع التدخل ، إن من وجهة النظر الخلقية او من وجهة نظر الاخطار الجسيمة المرافقة له . وكانت مقالة أرنو دو بورشغريف بعنوان «التدخل لن ينجح» ، احدى هذه المقالات ؛ فبعد ان زار مواقع النفط المفترض ، خلص الى القول : «هذه الفكرة سخيفة الى درجة انها لا تستدعي البحث فيها . فمن شأن التدخل ان يسبب وقوع الامر نفسه الذي نحاول تلافيه ، اي : الانهيار الاقتصادي للمجتمع الصناعي الغربي .»[١٠٧] وكان رأي راناك ينفرد ، وليس شركة ارامكو التي تملكها السعودية والذي استشهد به دو بورشغريف ،

---

[١٠٤] Walter Goodman, "Fair Game," New Leader, March 17, 1975, p. 15.

[١٠٥] Ibid.

[١٠٦] Jerusalem Post Weekly (Overseas edition), January 28, 1975, February 4 & 25, 1975.

وطوال هذه الفترة ، [illegible] الصحافة الاسرائيلية تولي موضوع التدخل من النفط في الخليج ولم تلقه بالصفة التي نسبت بعض الاهتمام . ولقد [illegible] في اسرائيل ايضا والمهمة الغالبة لاسر ودبي ، والعمل [illegible] حقول النفط في [illegible] .

[١٠٧] Arnaud de Borchgrave, "Intervention Wouldn't Work," Newsweek, March 31, 1975, p. 27.

٣٩

لم يكن هناك سرطي للخليج والسعودية لا تدخل في احلاف...

اقرأ ١٩٧٩
١٣٩٩

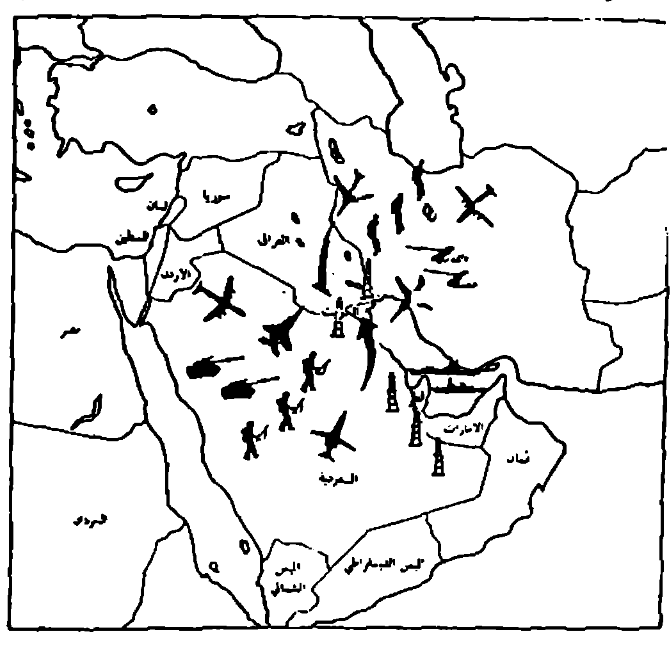
الخليج : ولعبة الفراغ الأمني





ملحق (٩٥)

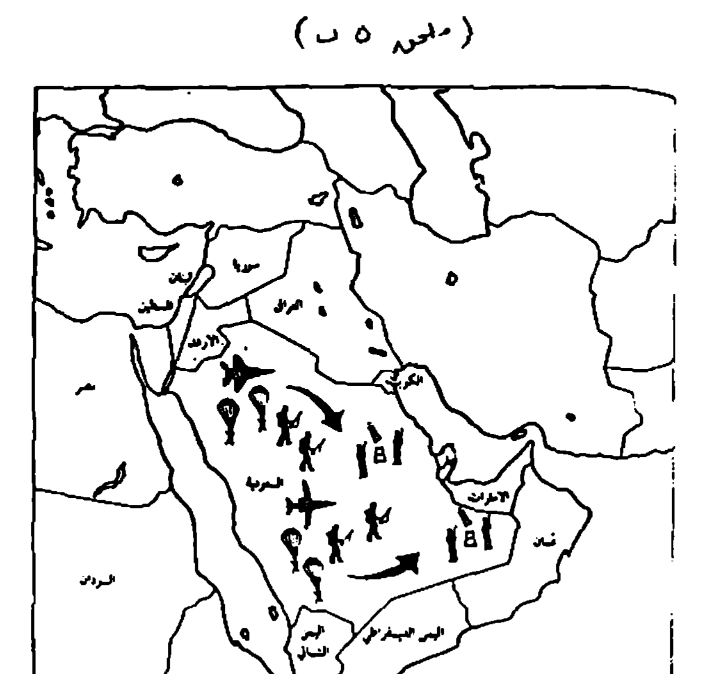
عن «التدخل العسكري في منابع النفط . الاحتمالات والخطط»!



اذا ما غزا الروس الخليج

قبل سقوط الشاه ، كانت الاستراتيجية الامريكية ترتكز على استخدام القوات الايرانية للدفاع عن المناطق الجبلية الشمالية للبلاد ، والتي تناسبه تماما هذا النوع من القتال وفي اثناء ذلك ، تتمكن الولايات المتحدة من ان تدفع فرق المدرعات الثقيلة والقوات الاخرى المطلوبة لدعم القوات الايرانية . اما اليوم ، فان الولايات المتحدة تقف عاجزة من مواجهة هجوم سوفياتي ، وان كان بامكانها ان تلجأ لفرض حصار بحري واجراءات جوية للقوات السوفياتية . والرادع الرئيسي في هذه الحالة ، هو ادراك السوفيات لأن مثل هذا الو... مرسا

(ملحق ٥ ب)



اذا ما اوقف السعوديون شحنات النفط

على الرغم من ان تطلع المساعدات العسكرية سوف يجعل سلاح الجو السعودي عديم الفعالية خلال اسابيع قليلة ، يتوجب على فرقتي مشاة ـ ٨٢ و ١٠١ ـ والقوى الجوية المساندة لهما ان تقاتل ضد القوات البرية الس[illegible] م تدمير حقول النفط بصورة كاملة . وعلى رغم من ذلك سيتطلب [illegible] وحتى سنوات كما سيتطلب الامر عدة آلاف من الجنود لحفظ الامن بعد ذلك .

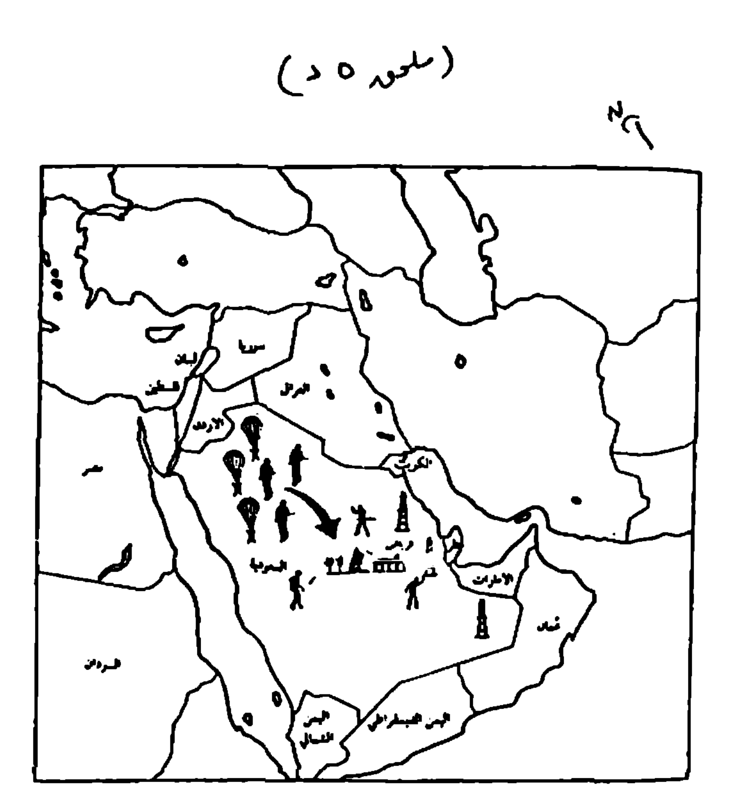
(ملحق ٥ هـ)

إذا ما غزا العراق الكويت او السعودية

تستطيع القوات المدرعة العراقية ، التي تستخدم بصورة رئيسية معدات سوفياتية ، ان تكتسح ايا من الدولتين بسرعة . ستشمل المساعدة في المرحلة الاولى ، اذا ما طلبت ، القيام بغارات جوية تكتيكية اميركية ضد المدرعات العراقية والقوات البرية المساندة لها ، ويمكنها التهديد بتدمير منشآت النفط العراقية . ويتطلب ابعاد القوات البرية العراقية انزال قوات من مشاة البحرية من الاسطول السادس او السابع ، وقوات مشاة من الفرقتين ٨٢ و ١٠١ .



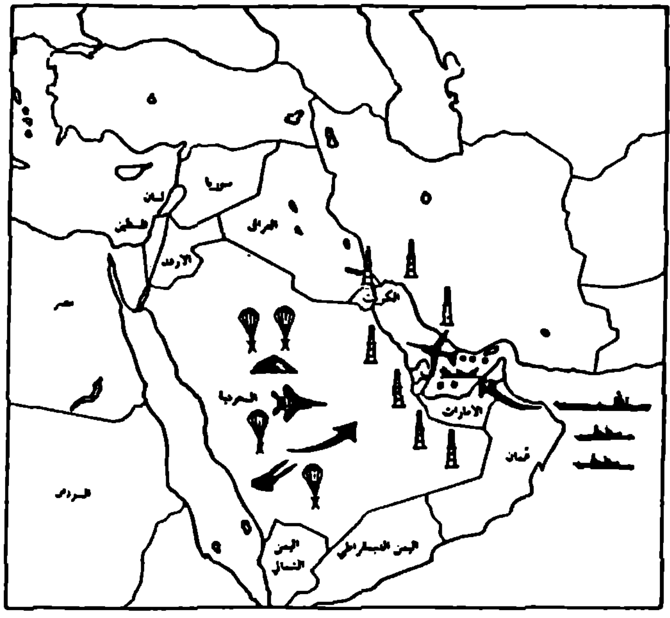
(ملحق ٥ د)



اذا ما نفذ المتمردون انقلابا في الرياض

منذ تقدم العائلة المالكة السعودية بطلب مساعدة ، ستنقل القوات الاميركية اللازمة لاحتلال العاصمة وحدات من فرقة المظليين ٨٢ وقوات مشاة خفيفة من الفرقة المحمولة ١٠١ ، وطوافات بمساعدة من "القبعات الخضر" والمؤللة (Rangers) . ستكون فترة رد الفعل ، انطلاقا من القواعد الاميركية ، ثلاثة ايام .

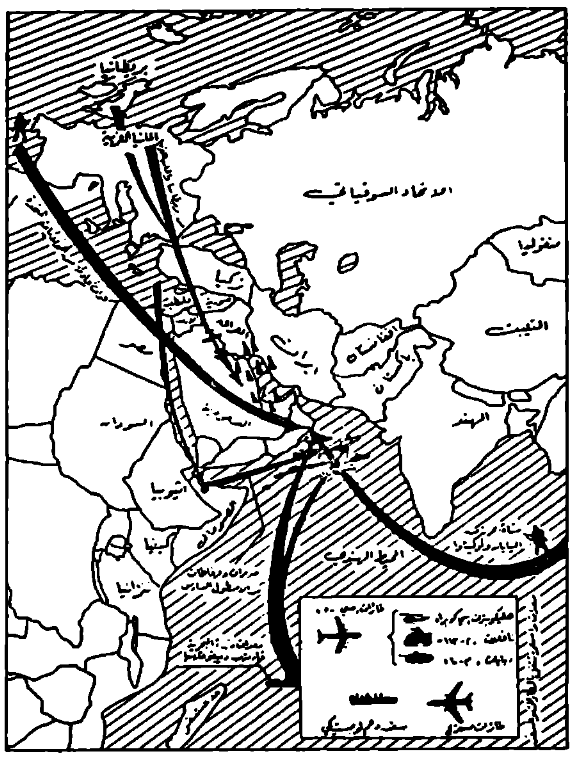
(ملحق ٥ هـ)



اذا اغلق المتمردون مضيق هرمز

يجب على البحرية الامريكية ان تتدخل اذا ما قام المتمردون والارهابيون في عمان باغلاق الخليج عن طريق اغراق ناقلات نفط عملاقة او بلغمه، بمساعدة سوفياتية. ستقوم كاسحات الالغام والطوافات بتطهير الالغام، وانقاذ الطواقم والناقلات. وستقوم طليعة الفرقة ٨٢ بتأمين قواعد للقوات البحرية وقواعد صواريخ مضادة للطائرات، وذلك بالاضافة الى تشتيت قوات المخربين.

(ملحق ٦)
يناير ١٩٨٢م
١٤٠١ هـ



محاور تحرك قوات التدخل السريعة - في منطقة الخليج العربي

وصول الولايات المتحدة المضمون إلى نفط الخليج يمكن أن تهدده أحداث من داخل دولة منتجة للنفط بقدر ما تهدده أحداث من الخارج. والواقع أن الضعف السياسي الداخلي للدول المنتجة للنفط والتي يتألف العديد منها من نظم شبه اقطاعية تحكم شعوبا لا حول لها ولا قوة تعيش داخل حدود رسمت في معظم الأحوال اعتباطيا بواسطة سلطات الاستعمار الأوروبي في القرن التاسع عشر(١٣) يمكن اعتباره أضعف حلقة في سلسلة الردع الغربي في الخليج. إن قابلية مثل هذه النظم للسقوط بفعل تخريب يرعاه السوفييت، والاطاحة بها بواسطة قوى داخلية بحتة وطنية أو دينية متعصبة قد تم المثال العملي عليها بما حدث في اليمن الشمالي والجنوبي، وفي إيران، وفي الهجوم الفاشل للمهدي المزيف على المسجد الحرام بمكة عام ١٩٨٠.

أحد الملامح الرئيسية للتهديدات ذات الطابع الوطني التي تتعرض لها المصالح الأمريكية في الخليج ـ وهو في نفس الوقت ذو أهمية بالغة بالنسبة لسياسة الولايات المتحدة ـ إن الإرهاب والتمرد والثورة بدعم من دولة خارجية، أو بدونه هي أمور أقل قابلية بكثير للحلول العسكرية من مشكلات العدوان المباشر من الاتحاد السوفيتي أو من قوى إقليمية ضد دول منتجة للنفط. وكما تعلمت الولايات المتحدة، بثمن فادح، من فيتنام فإن التدخل العسكري يمكن أن يكون هزيمة ذاتية إذا ما تم لصالح نظام غير قادر بشكل ما على حماية نفسه في مواجهة التحديات الداخلية القوية لسلطته.

(١٣) المثال الواضح على هذا هو دولة الكويت الغنية بالنفط والتي كانت محمية بريطانية. فالكويتيون يعدون أقل من نصف عدد سكان البلد وحوالي ٢٠٪ من قواها العاملة. وباقي السكان يتكون إلى حد كبير من رجال القبائل البدو، وعرب من مختلف البلاد (بينهم عدد كبير من الفلسطينيين) وأجانب معظمهم من الإيرانيين والهنود والباكستانيين. وتتركز السلطة السياسية بشكل يكاد يكون كاملا في أيدي أسرة الصباح الحاكمة.

العسكري الأمريكي في الخليج / جيفري ريكورد

التحرك أو حتى التحرك بسرعة. المناورة تعني التحرك والعمل في نظام أكثر وسرعة أكبر مما يفعل العدو.

حرب المناورة ذات صلة وثيقة ومباشرة بالمهمة الرئيسية لسلاح مشاة البحرية فيما تبقى من القرن الحالي، ونعني بها مساعدة أصدقاء الولايات المتحدة في العالم الثالث. ورغم ما تبديه الحكومة الأمريكية حاليا من تركيز على حلف شمال الأطلسي، إلا أن أوروبا أصبحت تصبح من وجهة نظر المصالح الأمريكية، أقل أهمية نسبيا من مناطق غير أوروبية، متطورة وأقل تطورا. فاليابان صارت الآن أكبر شريك تجاري منفرد للولايات المتحدة فيما وراء البحار، والمصالح الحيوية لأمريكا في المناطق الغنية بالمواد الخام، وخاصة النفط، معروفة جيداً. والحيوية الاقتصادية المتزايدة لأجزاء من أمريكا اللاتينية، وخاصة البرازيل، تفترض أن مصالحنا في هذه المنطقة قد تصبح أكثر أهمية.

في عديد من سيناريوهات الطوارىء المحتملة في العالم الثالث، سيكون على سلاح مشاة البحرية أن يواجه عدواً متفوقاً في العدد والعدة ـ وربما كان تفوقه في العدة نوعياً وكمياً معاً. فعلى سبيل المثال، إذا تصورنا إمكانية تدخل سلاح مشاة البحرية لمساعدة العربية السعودية ضد هجوم عراقي، فسنجد أننا بإزاء جيش عراقي مؤلف من ١٨٠٫٠٠٠ مقاتل مقابل جيش سعودي مكون من ٨٠٫٠٠٠ فقط (بما في ذلك الحرس الوطني السعودي). وإن الجيش العراقي يضم أربعة فرق مدرعة وفرقتين ميكانيكيتين. ومن ضمن معداته دبابات T-62 و AMX-30 والعربات المدرعة PMB، وراجمات صواريخ متعددة الأنابيب ومدافع مضادة للطائرات من طراز ZSU-23-4 وكلها معدات إما تعادل أو تتفوق على ما لدى سلاح مشاة البحرية من معدات. ثم



(ملحق ٨)

مشكلة الهجرة السوفياتية الى اسرائيل تجدد النزاع المسلح في الشرق الاوسط

الحرب التي لا يريدها أحد

تقرير خاص بـ «التضامن» من الفايننشيال تايمز كتبه هيو كارينغتي وطوني ووكر:

البلد	القوات	الدبابات	الطائرات	التعداد
العراق	مليون* / ٨٥٠ الف**	٥,٥٣٠ (ت)	٥١٣	التعداد ١٧,١ مليون نسمة
سوريا	٤٠٤,٠٠٠* / ٤٠٠,٠٠٠**	٤,٠٥٠	٥٠٩	التعداد ١١,٧ مليون
ليبيا	٨٥,٠٠٠* / ٤٠,٠٠٠**	١,٩٨٠	٥٣١	التعداد ٤,٣ مليون
اسرائيل	١٤١,٠٠٠* / ٥٠٤,٠٠٠**	٣,٧٩٤	٦٥٣	التعداد ٤,٥ مليون
الاردن	٨٥,٢٥٠* / ٣٥,٠٠٠**	١,١٣١ (ت)	١٢٥	التعداد ٣,١ مليون
السعودية	٦٥,٧٠٠* / —	٥٥٠	١٧٩	التعداد ١٢,٤ مليون

* القوات العاملة.
** الاحتياطي.
(ت) تقدير.

ميزان التوازن العسكري في الشرق الاوسط

من المعهود ان الرئيس المصري حسني مبارك هو رجل حذر وحريص وليس من

المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة خصوصا بعد مصرع الفلسطينيين السبعة برصاص قاتل اسرائيلي.

الخوف هو ان تؤدي التصريحات المتشددة من الجانبين، كما حدث في الماضي الى نشوب الحرب. ولعل

يقارن بكتاب المسيح الدجال – منزلوس

(ملحق ٩)

السياسة الخارجية الاميركية ترجمة لخزعبلات وفلوسة

الخليج: في الطريق الى "هرمجيدون"؟!

طلبت وكالة الصحافة الفرنسية بتاريخ العشرين من [illegible] (فبراير) الماضي نبأ من القدس المحتلة يتضمن نداء الحاخام مناحيم شنيرسون الزعيم الروحي لحركة "حباد" اليهودية المتشددة يقول فيه ان ازمة الخليج تشكل مقدمة لمجيء المسيح المنتظر. ويعتقد اليهود أن المسيح لم يظهر بعد وان ظهوره سيتم في اسرائيل، ويعتقدون كذلك ان من علامات ظهوره وقوع محنة عالمية كبيرة فيأتي المسيح لينقذ الانسانية ويحقق اليهودية التي تسود العالم.

وتكرر هذا [illegible] من المسيحيين الانجيليين تؤمن بالعودة الثانية للمسيح. هذه الفئة منظمة اساساً في كنيسة اميركية كبيرة هي الكنيسة المعمدانية (Despen-sationalists) [illegible] ان كل شيء في الكون مدبر وفق خطة مرسومة [illegible]. ويبلغ عدد اتباعها داخل الولايات المتحدة حوالي ٦٠ مليون شخص.

تؤمن هذه الكنيسة بأن للعودة الثانية للمسيح شروطاً [illegible] قيام دولة صهيون وتجميع يهود العالم فيها.

[illegible]

العود الصاعد. وهذا يعني ان الايمان بهرمجيدون يشكل [illegible]

في اطار هذا الايمان كان العمل على اقامة اسرائيل (صهيون) [illegible]

[illegible]

الحركة [illegible]

[illegible]

١ – قيام اسرائيل

٢ – عودة اليهود من الشتات الى ارض الميعاد

٣ – [illegible]

٤ – تعرض اسرائيل الى هجوم كبير من [illegible]

٥ – [illegible]

٦ – [illegible]

٧ – [illegible]

٨ – [illegible]

٩ – [illegible]

١٠ – حدوث كل ذلك في مدة [illegible]

١١ – نزول المسيح [illegible]

١٢ – حكم المسيح للعالم لمدة الف عام بعدل وسلام حتى تقوم الساعة

ومن التفاصيل يفترض السيناريو ان تتوحد اوروبا [illegible]

[illegible]

محمد السماك

(ملحق ١٠)

ATLANTA CONSTITUTION — Oct. 25, 1990 — Pg. 1

Army mastermind stays ahead of the 'game'

Strategy hatched in Georgia making history in the desert

By Joseph Albright
Journal-Constitution correspondent

THIRD ARMY HEADQUARTERS, Saudi Arabia — Starting in March 1989, Army Lt. Gen. John Yeosock and his 500 war-gamers, fuel estimators and other planners sat at a Georgia military base and thought about how they could move 200,000 troops to Saudi Arabia.

The planners left one big blank. They called it C-Day.

That was the hypothetical future date when some unspecified president might decide that he needed to go to the aid of Saudi Arabia against an enemy to the north — presumably Iraq or Iran.

The top-secret work in Building 343 of Atlanta's Fort McPherson spelled out the Army's part of the enterprise. By July 1990, the cigar-smoking General Yeosock and his three-star and

YEOSOCK...Pg. 18



This publication is prepared by American Forces Information Service (AFIS/OASD-PA) to bring to the att[illegible] interest to them in their official capacities. It is not intended to substitute for newspapers and periodicals [illegible] keeping informed about the meaning and impact of news developments. Use of these articles does not r[illegible] official endorsement. Further reproduction for private use or gain is subject to original copyright restrictio[illegible]



السيناريو الجديد لقوة الانتشار والتدخل السريع!

(مجلة ١٢) (النهضة) ١٩٨٣

كيف تنقل أمريكا ٢٣٠ ألف مقاتل بكامل أسلحتهم إلى الخليج؟

(ملحق ١٢) ٢٦

القواعد الأميركية في اليونان بعد تجديد الاتفا

وظيفة جديدة للقواعد بعد تحول دورها

○ اثينا - من محمد خليفة

■ رفع الجنرال الاميركي بيرت عقب مقبا وقال للضيوف بنكهة الفخر:

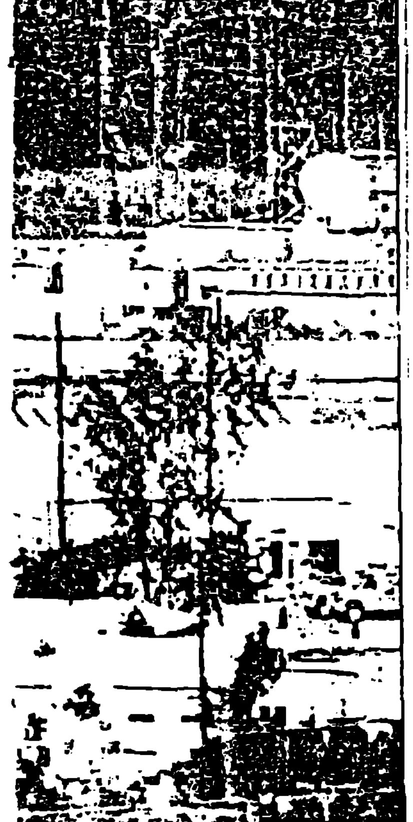
- اقترب شغب قرد... كنتي اتمنى ان تصبح هذه الجزيرة الرائعة غنيمة ثمينة والخمسين في عدد الولايات المتحدة الاميركية الرهيبة. ولجأ الى جو الاحتفال وانتقلت اسارير اليونانيين رجل وجهوم ثقيل... فالكلمات التي سمعوها تحت الفخر من كذا غليظة او سخيفة غير مرتقبة من جانب قائد القاعدة العسكرية الاميركية في جزيرة كريت... ولا شك انها كانت زلة لسان بعثت في نفوس الضيوف اليونانيين المزيد من الشكوك المختلطة اصلا منذ فترة.

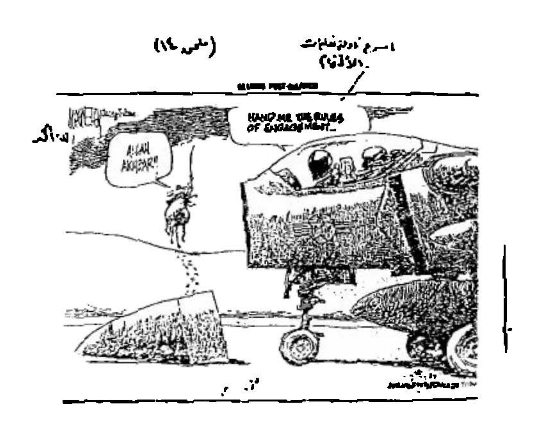
حدثت هذه الواقعة [illegible] عام ١٩٧٣ [illegible]

[illegible]

العام الجاري (١٩٩٠) [illegible] من جانب واحد قاعدة «الينيكون» التي تقع في اثينا، والقاعدة [illegible] التي تقع قرب [illegible] على بعد ٢٥ ميلا من العاصمة. وفي الواقع ان ما قامت به اميركا ليس [illegible]

[illegible]




HAND ME THE RULES OF ENGAGEMENT...
ALLAH AKBAR!!


Mideast Meets Midwest

كالدعوة إلى الله ونشر الإسلام في بلادهم.

٣ — ومن مظاهر موالاة الكفار السفر إلى بلادهم لغرض النزهة ومتعة النفس. والسفر إلى بلاد الكفار محرم إلا عند الضرورة — كالعلاج والتجارة والتعليم للتخصصات النافعة التي لا يمكن الحصول عليها إلا بالسفر إليهم — فيجوز بقدر الحاجة، وإذا انتهت الحاجة وجب الرجوع إلى بلاد المسلمين. ويشترط كذلك لجواز هذا السفر أن يكون مظهراً لدينه معتزاً بإسلامه مبتعداً عن مواطن الشر، حذراً من دسائس الأعداء ومكائدهم، وكذلك يجوز السفر أو يجب إلى بلادهم إذا كان لأجل الدعوة إلى الله ونشر الإسلام.

٤ — ومن مظاهر موالاة الكفار إعانتهم ومناصرتهم على المسلمين ومدحهم والذب عنهم وهذا — من نواقض الإسلام وأسباب الردة — نعوذ بالله من ذلك.

٥ — ومن مظاهر موالاة الكفار الاستعانة بهم والثقة بهم وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين واتخاذهم بطانة ومستشارين. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۝ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾(١).

فهذه الآيات الكريمة تشرح دخائل الكفار وما يكنونه نحو المسلمين من بغض وما يدبرونه ضدهم من مكر وخيانة وما يحبونه

من عضو المسلمين وإيصال الأذى إليهم بكل وسيلة بأنهم يستغلون ثقة المسلمين بهم فيخططون للإضرار بهم والنيل منهم.

وروى الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قلت لعمر رضي الله عنه: إن لي كاتباً نصرانياً، قال: ما لك قاتلك الله، أما سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾(١).

ألا اتخذت حنيفاً، قال: قلت يا أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه، قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله. وروى الإمام أحمد ومسلم أن النبي (ﷺ) خرج إلى بدر فتبعه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة، فقال: إني أردت أن أتبعك وأصيب معك، قال: تؤمن بالله ورسوله؟ قال: لا — قال: ارجع فلن أستعين بمشرك.. ومن هذه النصوص يتبين لنا تحريم تولية الكفار أعمال المسلمين التي يتمكنون بواسطتها من الاطلاع على أحوال المسلمين وأسرارهم ويكيدون لهم بإلحاق الضرر بهم، ومن هذا ما وقع في هذا الزمان من استقدام الكفار إلى بلاد المسلمين — بلاد الحرمين الشريفين — وجعلهم عمالاً وسائقين ومستخدمين، ومربين في البيوت وخلطهم مع العوائل، أو خلطهم مع المسلمين في بلادهم».

٦ — ومن مظاهر موالاة الكفار التأريخ بتاريخهم — خصوصاً التاريخ الذي يعبر عن طقوسهم وأعيادهم كالتاريخ الميلادي — والذي هو عبارة عن ذكرى مولد المسيح عليه السلام، والذي ابتدعوه من

(١) المائدة آية ٥١.

معيط، والنضر بن الحارث وأضرابهم من صناديد الكفار في عهد النبي - ﷺ - وبعده إلى يومنا هذا، إخواناً وأولياء لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة ومن سلك سبيلهم من العرب إلى يومنا هذا. هذا وإنه من أبطل الباطل وأعظم الجهل وشرع القومية ونظامها يوجب هذا ويقتضيه، وإن أنكره بعض دعاتها جهلاً أو تجاهلاً وتلبيساً. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وقد أوجب الله على المسلمين أن يتكاتفوا ويتكتلوا تحت راية الإسلام، وأن يكونوا جسداً واحداً، وبناء متماسكاً ضد عدوهم، ووعدهم على ذلك النصر والعز والعاقبة الحميدة، كما تقدم ذلك في كثير من الآيات، وكما في قوله تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[1] الآية وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[2] فوعد الله سبحانه عباده المرسلين، وجنده المؤمنين بالنصر والغلبة، واستخلافهم في الأرض والتمكين لدينهم، وهو الصادق في وعده. ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾[3] وإنما يتخلف هذا الوعد في بعض الأحيان بسبب تقصير المسلمين، وعدم قيامهم بما أوجب الله عليهم من الإيمان بالله، والنصر لدينه، كما هو الواقع. فالذنب ذنبنا لا ذنب الإسلام، والمصيبة حصلت بما كسبت أيدينا من الخطايا كما قال تعالى ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾

---

(1) سورة النور الآية ٥٥

(2) سورة الصافات الآية

(3) سورة الزمر الآية ٢٠

(4) سورة الشورى الآية ٣٠

فالواجب على العرب وغيرهم التوبة إلى الله سبحانه، والتمسك بدينه والتواصي بحقه، وتحكيم شريعته، والجهاد في سبيله، والاستقامة على ذلك من الرؤساء وغيرهم، فبذلك يحصل لهم النصر ويهزم العدو، ويحصل التمكين في الأرض، وإن قل عددنا وعددنا. ولا ريب أن من أهم الواجبات الإيمانية أخذ الحذر من عدونا، وأن نعد له ما نستطيع من القوة، وذلك من تمام الإيمان، ومن الأخذ بالأسباب التي يتعين الأخذ بها، ولا يجوز إهمالها كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾[1] وقوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[2]

وليس للمسلمين أن يوالوا الكافرين أو يستعينوا بهم على أعدائهم، فإنهم من الأعداء، ولا تؤمن غائلتهم. وقد حرم الله موالاتهم، ونهى عن اتخاذهم بطانة، وحكم على من تولاهم بأنه منهم، وأخبر أن الجميع من الظالمين. كما سبق ذلك في الآيات المحكمات، وثبت في (صحيح مسلم) عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: خرج رسول الله - ﷺ - قبل بدر، فلما كان بـ (حرة الوبرة) أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة، ففرح أصحاب رسول الله - ﷺ - حين رأوه، فلما أدركه قال لرسول الله - ﷺ - جئت لأتبعك وأصيب معك. قال له رسول الله - ﷺ - تؤمن بالله ورسوله؟ قال: لا. قال: فارجع فلن أستعين بمشرك. قالت: ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل، فقال له كما قال أول مرة فقال له النبي - ﷺ - كما قال أول مرة، فقال: لا. قال: فارجع فلن أستعين بمشرك. قالت: ثم رجع فأدركه في البيداء، فقال له كما قال أول مرة: تؤمن بالله ورسوله؟ قال: نعم. فقال له رسول الله - ﷺ - فانطلق. فهذا الحديث الجليل يرشدك إلى ترك الاستعانة بالمشركين، ويدل على أنه لا ينبغي للمسلمين أن يدخلوا في جيشهم غيرهم، لا من العرب ولا من غير العرب، لأن الكافر عدو لا يؤمن

---

(1) سورة النساء الآية ٧١

(2) سورة الأنفال الآية ٦٠

. وليعلم أعداء الله أن المسلمين ليسوا في حاجة إليهم، إذا اعتصموا بالله، وصدقوا في معاملته، لأن النصر بيده لا بيد غيره، وقد وعد به المؤمنين، وإن قل عددهم وعدتهم كما سبق في الآيات وكما جرى لأهل الإسلام في صدر الإسلام، ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1] فانظر أيها المؤمن إلى كتاب ربك وسنة نبيك ـ عليه الصلاة والسلام ـ كيف يحاربان موالاة الكفار، والاستعانة بهم واتخاذهم بطانة، والله سبحانه أعلم بمصالح عباده، وأرحم بهم من أنفسهم، فلو كان في اتخاذهم الكفار أولياء من العرب أو غيرهم والاستعانة بهم مصلحة راجحة، لأذن الله فيه وأباحه لعباده، ولكن لما علم الله ما في ذلك من المفسدة الكبرى، والعواقب الوخيمة، نهى عنه وذمّ من يفعله، وأخبر في آيات أخرى أن طاعة الكفار، وخروجهم في جيش المسلمين يضرهم، ولا يزيدهم ذلك إلا خبالاً كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾[3]

فكفى بهذه الآيات تحذيراً من طاعة الكفار، والاستعانة بهم، وتنفيراً منهم، وإيضاحاً لما يترتب على ذلك من العواقب الوخيمة، عافى الله المسلمين من ذلك، وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾[5] أوضح سبحانه أن المؤمنين بعضهم أولياء

(1) سورة آل عمران الآية ١١٨ (4) سورة التوبة الآية ٧١
(2) سورة آل عمران الآيتان ١٤٩ ـ ١٥٠ (5) سورة الأنفال الآية ٧٣
(3) سورة التوبة الآية ٤٧

بعض، والكفار بعضهم أولياء بعض، فإذا لم يفعل المسلمون ذلك، واختلط الكفار بالمسلمين، وصار بعضهم أولياء بعض، حصلت الفتنة والفساد الكبير، وذلك بما يحصل في القلوب من الشكوك، والركون إلى أهل الباطل والميل إليهم، واشتباه الحق على المسلمين نتيجة امتزاجهم ببعض، كما هو الواقع اليوم من أكثر المدعين للإسلام حيث تولّوا الكافرين، واتخذاهم بطانة، فالتبست عليهم الأمور بسبب ذلك، حتى صاروا لا يميزون بين الحق والباطل ولا بين الهدى والضلال، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فحصل بذلك من الفساد والأضرار ما لا يحصيه إلا الله سبحانه.

وقد احتج بعض دعاة القومية على جواز موالاة النصارى والاستعانة بهم بقوله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ﴾[1] الآية. وزعموا أنها ترشد إلى جواز موالاة النصارى، لكونهم أقرب مودة للذين آمنوا من غيرهم، وهذا خطأ ظاهر وتأويل للقرآن بالرأي المجرد، المصادم للآيات المحكمات المتقدم ذكرها وغيرها، ولما ثبت في السنة المطهرة من التحذير من موالاة الكفار، من أهل الكتاب وغيرهم وترك الاستعانة بهم، وقد ورد عنه ـ ﷺ ـ أنه قال: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار». والواجب أن تفسر الآيات بعضها ببعض، ولا يجوز أن يفسر شيء منها بما يخالف بقيتها، وليس في هذه الآية بحمد الله ما يخالف الآيات الدالة على تحريم موالاة الكفار من النصارى وغيرهم، وإنما أتى هذا الداعية من سوء فهمه وتقصيره في تدبر الآيات، والنظر في معناها والاستعانة على ذلك، بكلام أهل التفسير المعروفين بالعلم والأمانة والإمامة، ومعنى هذه الآية على ما قال أهل التفسير، وعلى ما يظهر من صريح لفظها، أن النصارى أقرب مودة للمؤمنين من اليهود والمشركين، وليس معناها أنهم

(1) سورة المائدة الآية ٨٢

ثبت المراجع : -

(١) الحرب الحقيقية مذكرات الرئيس نيكسون

(١) ١٩٩٩ نصر بلا حرب نيكسون - إعداد عبد الحليم أبو غزالة

(٣) التطلع إلى الإمام . جورج بوش - ترجمة جورج خوري .

(٤) قوة الانتشار السريع . جيفري ريكورد - ترجمة عبد الهادي ناصف .

(٥) الوجود العسكري الغربي في الشرق الأوسط . حسين أغا وزميلاه .

(٦) النفط العربي والتهديدات الأمريكية بالتدخل . مروان بحيري .

(٧) خطط التدخل العسكري في منابع النفط . بيتر تيزجر

(٨) التدخل العسكري في منابع النفط - الاحتمالات والخطط دراسة عن مجلة فورتشون .

(٩) السلام البريطاني في الخليج العربي .

(١٠) تاريخ الخليج العربي .

(١١) تحديات الأمن القومي في السعودية في العقد المقبل .

(١٢) خيارات السياسة الأمريكية في إيران والخليج .

(١٣) من يهدد منطقة الخليج العربي ادموند د.ص

(١٤) الحروب الصليبية أحمد شلبي .

(١٥) اتجاهات التدخل الأمريكي مايكل كلير

(١٦) الفكر الاستراتيجي .

- **المجلات والصحف :**

(١) واشنطن بوست الأمريكية .

(٢) الفاينانشيال تايمز
(٣) نيويورك تايمز
(٤) اللوموند
(٥) لوس أنجلوس تايمز
(٦) الشؤون الخارجية
(٧) القبس الكويتية
(٨) اقرأ السعودية
(٩) الحوادث اللبنانية
(١٠) الوطن العربي
(١١) المجلة السعودية
(١٢) الحياة
(١٣) الأمل
(١٤) البلاغ الكويتية
(١٥) التذكير الجزائرية .
(١٦) الإصلاح
(١٧) الأنباء الكويتية
(١٨) الأهرام القاهرية
(١٩) الشرق الأوسط
(٢٠) الدستور
(٢١) المستقبل
(٢٢) التضامن .
(٢٣) السياسة الكويتية
(٢٤) صباح الخير القاهرية
● هيئة الإذاعة البريطانية
● إذاعة صوت أمريكا

* * *

الفهـرس

* * *

تصويبات الأخطاء

الصفحة السطر	الخطأ	الصواب
ص ٢٩ س ١٢	لتتذكر	لنتذكر
ص ٣١ س ١٣	تفعل النار	تشعل النار
ص ٤٤ س ٨	وكانت المقابلة بعنوان :	تشطب
ص ٥٤ س ٦	لإطلاعهم	لاطلاعهم
ص ٦٤ س ٢ من الآخر	الفانشيال	الفاينانشيال
ص ٦٧ س ٩	تساعد	تصاعد
ص ٨٠ س ٢	ترحليهم	ترحيلهم
ص ١٨ س ٧	حريصه	حريصة
ص ٩٦ س ٣	السوفياتي	السوفيتي
ص ١٠٦ س ٨	الحاليين	الحالين
ص ١٢٠ س ١٠	الدولة ستتمتع	الدولة التي ستتمتع
ص ١٢١ س ٥ من الآخر	الصارعات	الصراعات
١٢٤ س ١٤	بإن	بأن
ص ١٣٣ س ١٤	من الاستعانة أو	من الاستعانة أن

* * *

هذا الكتاب

● رسالة من الدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي رئيس قسم العقيدة بجامعة أم القرى إلى هيئة كبار العلماء بالمملكة السعودية وعلى رأسهم سماحة الوالد الجليل الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظهم الله جميعاً بعد صدور فتواهم بجواز الاستعانة بالكفار في حالة الضرورة .

● ويبين فيها أن المسألة ليست مسألة استعانة ، وإنما هي كارثة كبرى تهيء لأعداء الله المتربصين بالأمة الإسلامية الفرصة السانحة لتمكينهم من مخططاتهم الخبيثة لتفتيت الأمة ، واستنفاذ ثرواتها .

● وهي عبارة عن عرض موجز للأزمة ، ثم عرض مسهب للمخططات الدولية التي أخرجتها ، من بدايتها ، وبجذورها وخططها وإرهاصاتها وإخراجها .

● ويوضح السبب الحقيقي في هذه المصيبة وهو الخروج عن شرع الله تعالى والمجاهرة بمحارمه ، وموالاة أعدائه .

● **فكان هذا الكتاب بحق :**

أخطر كتاب وثائقي عن أزمة الخليج من منظور إسلامي..

● فالذي تقرأه في صحف اليوم ، وصحف الغد ، تجده الآن في هذا الكتاب رغم إنه قد صيغ قبل اندلاع الحرب .

